مَجدّو

رواية

محمد خضيري نعمان

إضافة

مَجدّ و

لم يكن المصريون أبداً دعاة حرب، فإنهم لم يغزوا أحداً، أو يغيروا على أحد، ولم يبدأ المصريون حرب أبداً؛ ولكنهم وقفوا دفاعاً عن بلدهم أمام الطغاة والمعتدين الذين أرادوا نهب خيراتها والسيطرة عليها، فخاض ملوكها الحروب ضد الغزاة والمعتدين، فردّوهم مدحورين.

وكانت مجد و الملحمة التاريخية، التي تجمع بين الحب والحرب وصراع الملوك، والمكر والدهاء، والعبقرية المصرية في المعارك والتعامل مع الأعداء.

محمد خضيري نعمان

من مواليد محافظة أسيوط،

صدر له من قبل:

رواية: عيون لا تعرف الدمع

رواية: نيران مستعرة

رواية: سنوات الحرمان

مجموعة قصصية: أعجبني

9 789778 577389

إضافة

للنشر والتوزيع

مَجدٌ و

www.idafabooks.com

مَجدُّو

رواية
محمد خضيري نعمان
الطبعة الأولى : ٢٠٢٠
رقم الإيداع : ١٩٨٦٣ / ٢٠٢٠
ISBN 978-977-85773-8-9
١٥٦ ص ، ٢٠ سم

دار إضافة
للنشر والتوزيع

الإسكندرية

ج٠م٠ع

{جميع الحقوق محفوظة ©}

المراجعة اللغوية: عبلة صبري
غلاف وإخراج فني: أمير مصطفى

مَجدٌ و

رواية

محمد خضيري نعمان

إضافة
للنشر والتوزيع

إهداء

إلى مَنْ سالت دماؤهم حفاظًا على أرض مصر

مَن الذي ينبغي أن تُبذل حياته لصاحبه؟
الشَّعب لفرعون أم فرعون للشَّعب؟!

نجيب محفوظ /عبث الأقدار

على سبيل التقديم

إن تاريخ مصر حافلٌ بأحداث العزة والكرامة التي يفتخر بها كلُّ من ينتمي إليها في العصور التاريخية كلها؛ سواء الفرعونية القديمة، أو العصور الحديثة. فهناك أحداثٌ تشعرك بالفخر؛ لانتمائك لدولة عريقة كمصر، فدائما مصر ترصدها عيون الآخرين طامعة فيها، وفي حضارتها وعراقتها، ومرورًا بالتاريخ الفرعوني القديم، وأحداث ما قبل الميلاد، وما سُطر على جدران المقابر والمعابد والمسلات التي أقامها القدماء شاهدةً على عبقرية هذا المكان، وعبقرية من حكموه، وقوتهم، وسياستهم الذي اتبعوها فسطروا تاريخًا بحروف من ذهب مما جعل الدول والقبائل والممالك تتكالب عليها، تُريد النيل منها، والسيطرة عليها، وعلى خيراتها وإخضاعها، حيث إنها كانت من أزهى الدول تقدمًا وازدهارًا في المجالات كافة، فأقام المصريون نهضة معمارية، اقتصادية، سياسية، وعسكرية، فقد حُبيت مصر بنيل فياض، يحمل إليها الخير الكثير؛ فنمت حوله أعظم حضارة عرفها التاريخ، ومناخًا معتدلًا، وموقعًا متميزًا بين الأمم والدول، وموارد طبيعية.

فقد بلغ اسم مصر بين الأمم عنان السماء، وأصبح يجري على ألسنة القبائل والأمم جريان الماء، فقد وصل ملوكها في العصور الفرعونية إلى منابع النيل الجنوبية، وربطتهم علاقات تجارية مع هذه الدول؛ مثل: (بلاد بونت) وبلاد فينيقيا، وأقامت علاقات تجارية قوية.

ولم يكن المصريون أبدًا دعاة حرب، فإنهم لم يغزوا أحدًا، أو يغيروا على أحد، ولم يبدأ المصريون حرب أبدًا؛ ولكنهم وقفوا دفاعًا عن بلدهم أمام الطغاة والمعتدين الذين أرادوا نهب خيراتها والسيطرة عليها، فخاض ملوكها الحروب ضد الغزاة والمعتدين، فردَّوهم مدحورين، وليس هناك ما يدفع المصريون لغزو أحد. فقد تمتعوا بالكثير من الخيرات، فالمصريون يحبون الحياة الهادئة؛ لينعموا فيها بثمرة جهدهم، ولكن تشتد شوكتهم، وتقوى عزيمتهم، ويحاربوا عدوهم إذا أراد النيل من بلادهم، فخاضوا المعارك الكثيرة من أجل الحفاظ على أرضهم.

فقد خاضوا حروبًا ضد الهكسوس الذين سيطروا على مصر قرابة قرن من الزمان، يعاني فيه المصريون من هذا العدو؛ حتى استطاع الملك أحمس من هزيمة الهكسوس هزيمة نكراء. أردأهم خارج مصر؛ لتعود مصر إلى أيدى المصريين، ولكن لم يبقَ الوضع كما هو،

فطمع فيها الكثيرون -أيضًا- فقد طمع فيها الأشوريون، وشعوب البحر المتوسط، وملوك الحيثيين، ودول كثيرة أرادت ذلك؛ ولكن بقوة قادتها، وملوكها، وحنكتهم العسكرية لم يستطع الأعداء النيل منهم، أو من دولتهم.

فكلٌّ إلى مهلكهم قد أتوا، ولحقوا بمن سبقوهم، ولم يقتصر الأمر على التاريخ الفرعوني فقط، بل استولى عليها الفرس -أيضًا- والرومان، والإغريق، والبطالمة، والمغول، والتتار، والصليبين الذين دحروا أمامها. فدائمًا الجميعُ يريد مصر، وتعرضت -أيضًا- إلى الحملات الكثيرة؛ فاستولى عليها الفرنسيون، والاحتلال الإنجليزي. ولم يرضَ الشعبُ المصري بذلك فقاوم، وحارب قدر المستطاع؛ حتى وصلت إلى الاحتلال الإسرائيلي، والحرب بين مصر وإسرائيل، والانتصار العظيم الذي حققه المصريون في حرب أكتوبر ١٩٧٣م.

وما زالت مصر بشعبها، وجيشها يكافحون، ويتصدون للإرهاب الغاشم الذي يريد زعزعة أمنها، واستقرارها.
ولكن جيشها على أهبة الاستعداد؛ للتصدى لهم ودحرهم، فهذا يوحي أن مصر في عيون أعدائها دومًا يريدون الحصول عليها، وأضْعافِها، وإسقاطها؛

فقد حارب ملوكها وقوادها وجنودها، من أجل عزتها وكرامتها. وكانت مصر -وستظل دائمًا- مقبرةً للغزاة والطامعين، وكل من يحاول إخضاعها.

محمد خضيري نعمان

١

إنها أيامُ الشتاء الطويل التي تنقضي سريعًا منذ أكثر سبعة آلاف سنة تزينت مدينة طيبة عاصمة مصر آنذاك، وصارت في أبهى زينتها تتجهز؛ لاستقبال عيد تتويج الملك والملابس الفرعونية التي تزين الأجساد، والعجلات الحربية التي تنتشر في كل مكان، وحضر الجميع من أطراف مصر كافة؛ من الوادي والدلتا. وامتلأ نهر النيل العظيم بالمراكب التي تحمل عديدًا من الناس إلى طيبة، ومنهم من حضر على الدواب المختلفة، الكل يسافر؛ لحضور عيد تتويج الملك تحتمس الثاني، وزيارة معبد آمون، ومقابلة كاهن آمون العظيم، ورؤية الملك تحتمس الثاني فرعون مصر العظيم، وامتلأت المدينة بأُناس من أنحاء البلاد، وأرجائها كافة. وتمت التجهيزات الأمنية والدينية؛ لاستقبال موكب الفرعون والأميرات، وزين الطريق من القصر الفرعوني إلى معبد آمون، والكل على أهبة الاستعداد؛ لاستقبال ذلك اليوم العظيم حتي يروا ملك مصر، وتكدس الناس بالطرقات، ومعبد آمون امتلأ على بكرة أبيه، وتدافع الناس؛ لتقديم الشعائر والطقوس الدينية، وتقديم القرابين والتودد إلى آمون، وطلب العون منه في الكثير من الأمور، وتعالت

الأصوات والهمسات، وصارت كدوي النحل داخل المعبد، ثم خيم على الناس صمتٌ رهيبٌ، والعيون شاخصةٌ لا تدري ماذا هناك؟ ثم بعد برهة قليلة ظهر الكاهن الأعظم لأمون، والذي له شأن عظيم في نفوس المصريين، وأخذ ينادي في الناس بصوت أجش قائلًا:

إنكم في حضرة آمون العظيم، وإن هذه الأيام هي أيام المجد والعظمة لأرض الأجداد العظام؛ حيث إنه يوم جلوس فرعون مصر العظيم تحتمس الثاني على عرش مصر، وإن آمون يبارك تلك الأيام، ويبارك كل من حضر فتعالت الهتافات قائلةً:

يحيا آمون العظيم

يحيا فرعون مصر العظيم

يحيا الكاهن الأعظم

فيشير إليهم بالهدوء مكملاً كلامه، بأن غداً هو يوم اكتمال القمر، وهو عيد -أيضًا- وهو يوافق عيد جلوس فرعون مصر العظيم على العرش فهذا يعتبر من بركات آمون عليه، أن يوافق عيد جلوسه على العرش عيد اكتمال القمر، وبعد أن أنهى كلامه إنهال الناس كالسيول الجارفة على تمثال آمون بتقديم الهدايا والقرابين له، وبعد أن انتهى ذلك اليوم من الحضور الأول للناس. بدأ الناس في

الانصراف من خارج المعبد متجهين إلى السكنات التي يقومون بها منتظرين قدوم عيد التتويج للملك الذي سيكون بعد بضع أيام.

وفي الجانب الآخر حيث قصر الفرعون أبهى مكان بمصر كلها، وأجملها، وقد تزين القصر بكامله احتفالا بعيد تتويج الملك، وتزينت الطرقات والأعمدة الموجودة بالقصر كلها، وقد حضر رسول من كوش يبدو عليه وعثاء السفر والتعب. وأنه يطوي الأرض طيًّا تحت عجلته الحربية قاصدًا قصر الفرعون. فدخل مسرعًا، وانحنى تعظيمًا وتمجيدًا للفرعون قائلاً: فرعون مصر العظيم، لقد تمردت كوش على الحكم، وهؤلاء كانوا رعايا لسيد الأرضين، فألقوا في الأرض بذور الفساد والعداء، وروها بماء الحقد والغل؛ فأنبتت شرًا وبدأوا إلحاق الأذى بحكم سيد الأرضين، وننتظر الأمر منكم، والامر في النهاية لكم.

غضب تحتمس غضبًا شديدًا عندما سمع هذا الكلام من الرسول، وصار كالأسد المسعور، وتأججت عيونه بنيران ملتهبة، وصارت ككوة النار، وبصوته الأجش كزئير الأسد الذي يسْمع الوادي والجبل من تلك الأخبار المنكوبة، وزلزلت جدران القصر، وصرخ بكل غضبٍ على قائده "حابي" فدخل القائدُ مُسرعًا، فشاهد الجندي، فعلم أن هناك أمرًا ما وهذا الأمر ليس بخير، فسأل: ماذا هناك سيدي فرعون مصر وعظيمها؟ فنظر إليه والغضب يعلوه،

وكان مُمسكًا بيده كأس به شراب ضرب به الأرض قائلًا: إن كوش قد خرجت متمردة على حكمي، ولا بد من تأديبهم، وأن يقروا بالولاء والطاعة لسيد الأرضين "فرعون مصر وعظيمها".

"حابي" مُهّدئًا من روع الملك قائلًا: سوف نعدُّ لهم جيشًا قادرًا على تأديبهم.

الفرعون: جهز الجيش، وارسل أمهر جنودنا؛ ولكن لا بد أن تحضروا زعيمهم وأبنائه إليّ أحياء دون أذى، وبعد ذلك لا تتركوا منهم ذكرًا حيًّا.

"حابي": أمر فرعون مصر وعظيمها، وانطلق بصحبة الجندي، وانصرفا من ساحة الملك.

حابي سائلًا الجندي: أخبرني عن كل شيءٍ، وعن العدة والعدد لدى المتمردين.

الجندي: إنهم كثيرون، ولكن عدتهم ضعيفة، إنهم يعتمدون على أسلحة بسيطة، وليس لديهم إمكانياتُ جيش فرعون مصر وتجهيزاته. وسار الاثنين إلى ساحة الجيش، وانضم الجندي إلى باقي الجنود، وأخذ "حابي" يعد الجنود مخبرهم: إن كوش قد تمردت على حكم سيد الأرضين فرعون مصر، وأمر الفرعون العظيم تحتمس الثاني بإعداد جيش؛ لتأديبهم، وجمع قادة الجيش الذين سيتولون المهمة إلى كوش، وأخبرهم بتعليمات الفرعون.

وتم اختيار "حور رع" قائد للجيش، وأعطاه الصلاحيات كاغة التي تعينه على تنفيذ مهمته، وهناك سينضم إليه جنود الفرعون في كوش، وأمره بالتحرك مع بداية شروق شمس الصباح، وبدأ "حور رع" في التجهيز، وتحرك الجيش، والجندي بصحبتهم؛ لأنه أعلم بالطرق المختصرة، حتي لا يتعرض الجيش؛ لهجوم غير متوقعٍ من المتمردين. وسار الجنود كالرياح المرسلة يطوون الأرض تحت أقدامهم طيًّا. العجلات الحربية تشق الأرض، وصهيل الخيول يملأ الوادي. وبعد مُضي أيام عديدة أشار الجندي إلى القائد "حور رع" قائلًا: سيدى القائد، إننا على مشارف كوش، وأننا لا بد من أخذ التدابير اللازمة، فلا ندخل كوش هكذا لا بد من الحذر. فلا نسلك الطرق المباشرة المؤدية إلى كوش؛ لأن المتمردين مُأمَنون هذا الطريق.

القائد أشار إلى الجيش بالتوقف مُتسائلًا: ماذا نفعل إذن؟ هل نعسكر خارج كوش، ونحاصرها وهذا أمر سيطول؟ ولكن لا بد أن يكون هناك طريقٌ آخر.

الجندي: سيدي القائد، هناك طريقٌ آخر -فعلًا- سنقطعه، وهذا الطريق لا يتوقعه المتمردون، إن جيش الفرعون سيمر منه، وأننا سوف نسير من هذا الطريق، وهو الأقرب الى معسكر جنودنا.

القائد "حور رع" ولكن هذه مهمة محفوفة بالمخاطر، وغير أمنةٍ -تمامًا-؛ لأنهم سيشعرون بنا بكل حال من الأحوال، ولا تدري ربما تم رصد تحرك الجيش، وتم إخبار المتمردين بذلك؛ فأمنوا المداخل كلها، ولكن لدينا خطة. سننفذها وهي أننا سوف نعسكر هنا، وأنت تأخذ بعض الجنود، وتلتف من الطريق الآخر، وتنضموا إلى جنودنا، وأن تتجهزوا للقتال، وتكونوا على استعداد تام، وسنهجم عليهم في وقت واحد، وبذلك نفقدهم توازنهم، وسيبدأ الهجوم في الوقت نفسه، وسوف ننطلق مع إشراقة أول ضوء نهار سيتحرك الجيش في الطريق المباشر، وسنلتحم معهم بقتال. وأنت وباقي الجيش تهجموا من الخلف فنطبق عليهم كالأُسْد الضارية؛ ويقعوا بين فكي الأسد، وتمت الخطة. وأخذ الجندي جزءًا من الجيش، وانطلق بهم من الطريق متسترين تحت ظلام الليل الحالك، وكانت الليلة قمرها معتم، وتسللوا مدججين بالأسلحة، وانضموا إلى الجنود هناك. فعرفوهم وتم إخبارهم بالخطة، وفي أول إشراقة ضوء نهار، أمر القائد "حور رع" بعض جنوده بالتقدم في الطريق. فخرج لهم المتمردون، وبدأ الاشتباك والقتال فلا صوت إلا صوت تطاحن العظام أسفل العجلات الحربية، وتطايرت الرؤوس من فوق الأعناق، وبدأ الهجوم واشتد القتال، وبدأت الفرقة الأخرى من الجيش في الانضمام والهجوم؛ فطوق جيش الأعداء. وهربت

جيوش "كوش" تجر أذيال الهزيمة، ولم يتركهم جيش الفرعون؛ بل طاردوهم، وقُضى عليهم جميعًا، وطار الخبر إلى زعيم "كوش" أن جيوشه قد قُهرت أمام جيش تحتمس الثاني، وأنهم يتقدمون إليه؛ فحاول الهرب، ولكن جنود الفرعون كانوا أسرع من هذا، وتمكنوا من أسره هو ومن معه، وأخذوه إلى مقر الجيش، وتمكن الجيش من إخضاع "كوش" تحت إمارة جيش تحتمس الثاني، وأعلنت "كوش" الولاء والطاعة لجيش الفرعون تحتمس الثاني. وأُخذ أمير "كوش" هو ومن معه، وأمر قائد الجيش "حور رع" ألا يمسه أحدٌ بسوءٍ هو ومن معه، فهذه أوامر فرعون مصر العظيم. وسوف نرسله إلى الفرعون، وينادى على الجندي: إنه سينطلق بعجلته الحربية إلى القائد "حابي"، وأن يحمل له تلك الرسالة؛ ليطمئن الفرعون عن سير المعركة، وأنه سيرسل أمير "كوش" ومن معه إليه مع حملة عسكرية قريبًا. وانطلق الجندي متجهًا إلى العاصمة طيبة، يقطع الأرض مسرعًا إلى لقاء القائد "حابي"، وبعد أيام من السفر وصل إلى طيبة سائلًا عن القائد "حابي" فأخبره أحدُ الجنود: إن القائد "حابي" في مقره بالقصر، فأنطلق إليه، فأخبر الحارس: إنه يريد مقابلة القائد "حابي"، وإنه رسولٌ من "كوش" فدخل الحارس على القائد. سيدي القائد، إن رسولًا من "كوش" يريد مقابلتك؛ فسمح له بالدخول. فيدخل الجندي، فعرفه "حابي" فرحب به،

وقدم له رسالة القائد "حور رع"، ثم أستأذن بالخروج، وجلس القائد "حابي" يقرأ ما تحويه البردية المرسلة إليه، ولكن الفرعون ما زال قلقًا؛ لأن ليس هناك أخبار عن الحرب في "كوش"، وماذا فعل الجنود؟ ينادي تحتمس الثاني بصوته الأجش على خادمه كامون الذي يدخل مسرعًا منحنيًا أمام الفرعون تمجيدًا وتعظيمًا له قائلاً:

أمر سيدي العظيم فرعون مصر وحاميها

فينظر إليه، وبعيونه غضبٌ شديدٌ قائلًا:

إنني لم أرَ القائد "حابي" منذ فترة، ولم يخبرني بما حدث في تأمين الحدود المصرية، وكيف تصرف مع الأعداء الذين يتربصون بنا، والآن يا كامون، أريدك أن تحضر لي القائد "حابي" في أي مكان يكون، لا بد أن يكون بين يدي.

فاستأذن كامون في الخروج مسرعًا مهرولًا يمينًا ويسارًا بين ردهات القصر المتسعة يسأل كل من يقابله من العبيد والجنود: ألم ترَ القائد "حابي"... ألم ترَ القائد "حابي"... وخرج خارج القصر؛ حتى شاهده يقف بين جنوده مناديًا سيدي القائد.. سيدي القائد.. سيدي القائد.. فألتفت إليه، وهو يقول: ما وراءك كامون يظهر عليك التوتر والقلق، ماذا هناك؟ أجابه كامون بأنفاسه المتقطعة، أن الملك يريده الآن في شيءٍ مهمٍ، وأنه غاضبٌ جدًا. "حابي": إنني

ذاهبٌ إليه على أية حال هيَّا بنا. فانطلقا الاثنين؛ حتى دخلا القصر. فانصرف كامون، واستأذن "حابى" بالدخول على الفرعون، فدخل الحارس، وأخبر الفرعون بأن القائد "حابي" واقفٌ على الباب، يريد الدخول. فيشير الفرعون إلى الحاجب، أن يدخله فيتراجع الحاجب إلى الباب، فيسمح للقائد بالدخول. فينحني أمام الفرعون قائلًا: أمر فرعون مصر العظيم وحاميها.

فينظر حابي إليه بعد تقديم التحية، فيفطن أنه غاضبٌ من شيءٍ ما، ويبدو عليه التوتر والقلق، فقال "حابي":

وكان مقربًا من الفرعون، إنى أرى فرعون مصر يصيبه بعض من التوتر والقلق؛ فيلتفت إليه الفرعون قائلًا: فعلا يصيبني التوتر والقلق.

"حابي": لِمَ يا سيدي؟

الفرعون: يقلقني أمور الجيش على الحدود والأعداء الذين يتربصون بنا، ويريدون أي فرصةٍ لانشغالنا؛ لينقضوا علينا كالأسد الضارية على فرائسها، وأقلق أن ننشغل بتجهيزات أعياد التتويج الملكية، فينتهز الأعداء هذا الانشغال.

القائد "حابي": فرعون مصر العظيم، أريد أن أطمئنك بأن جيوشنا على الحدود قوية، وقد أمّنت الحدود من الأعداء، وقد وصلتني الأخبار منذ قليل، فقد جلب أحدُ الجنود رسالةً يصف فيها

إنجازات، وتطورات الأوضاع. وإن الحملة التي أرسلها الفرعون العظيم قد حققت الانتصار على "كوش"، وأمّنت حدودها من اتجاه الجنوب، وقد أعلنت "كوش" الولاء والطاعة لسيد الأرضين. وإن زعيم "كوش" قد وقع أسيرًا، وأنه سيكون ماثلًا بين يديك في القريب العاجل.

فشعر الفرعون بالرضا والراحة والاطمئنان عند سماعه لهذه الأخبار المفرحة، ويطلب من القائد: إن هناك مهمةً أخرى قد وصلتني أخبار، إن بدو "شاسوا" يتحركون ضدنا، ويقومون بأعمال عنف ضد جنودنا هناك. فأريدك أن تختار قائدًا قويًّا ترسله إلى "شاسوا"؛ ليقضي على هذا التمرد، وأن ترسل رسالة إلى القائد "حور رع" أن يتولى قيادة الجنود في "كوش"؛ حتى يستتب الأمر هناك. القائد "حابي": أمر فرعون مصر العظيم سنجهز الحملة التي ستنطلق إلى بدو "شاسوا"، وتحقق النصر كما حققت الحملة الأخرى.

الفرعون: "حابي"، كن -دائمًا- يقظًا، فالأعداء تطوف بنا من كل جانب؛ لأننا بالنسبة إليهم الغنيمة والفوز الأعظم، يريدون أرضنا فهذه أمانيهم، وأماني من يخلفهم وتلك المعارك كلها. "حابي"، هذه المقدمات لمعركة كبرى ستقع حتما، ووقتها لا بد أن نكون على أهبة الاستعداد.

"حابي": أي معركةٍ فرعون مصر وحاميها؟

الفرعون: هؤلاء الأعداء المحيطون بنا لا يهدئون أبدًا، وسيحاولون مرارًا وتكرارًا في قتالنا من أجل أرضنا، وسيكونون حشدًا من الأعداء، وستقع المعركة الكبرى. "حابي" ولكن متى؟ لا نعلم. هل سنحضرها، ونخوضها، ونقاتل فيها أو سنلحق بالأجداد قبلها؟ فالحاكم التي ستقع في عهدة تلك المعركة لابد أن يكون محنكًا وقويًا وماكرًا. "حابي"، فاحفظ ذلك ربما تعاصر من يأتي بعدي. "حابي": أطالت الآلهة عمر الفرعون، وقبل أن ينهي الحديث دخل الجندي قائلًا: سيدى الفرعون، لقد وصل بعض جنود القائد "حور رع"، فسمح لهم بالدخول. فدخلوا مصطحبين معهم أسرى المعركة مكبلين، ومن بينهم زعيم "كوش" وأبنائ،ه وبعض الموالين له منكسي الرؤوس بين يدى الملك. فقال الملك: إنكم بين يدى -الآن- ، وإنكم قمتم بالتمرد ضدي، وضد دولتي. فلا مكانَ لكم بينا بعد أن أعطيناكم الأمان. وقدمنا لكم الخير، تقومون بالشر والخيانة وضرب اليد التي أطعمتكم الخير. ولا بد لكم من جزاء يناسب فعلتكم، وقد أمرت جنودي بعدم المساس بكم؛ حتى تكونوا بين يدي لأنتقم منكم بنفسي جزاءً لما فعلتموه.

ينظر الفرعون إلى "حابي" قائلًا: إن هؤلاء قد خانوا، وأرادوا إسقاط الدولة، وتدميرها وأنا أمرتُ بضرب رؤوسهم جميعًا.

"حابي": أمرُ فرعون العظيم، ويأمر الجنود بأخذهم.

الفرعون: والآن انطلق إلى الجيش، وجهز الحملة للقتال، فاستأذن "حابي" للخروج متجهًا إلى مقر الجيش، واستدعى القائد "خوفو"، وأخبره بأوامر الفرعون، وأن يختار الجنود الأقوياء. وأن ينطلق صبيحة هذا اليوم آخذًا حذره؛ فبدو "شاسوا" ماكرون جدًا، ولديهم القوة والعتاد الحربي، فلا تستهن بقوتهم، وكن حذرًا في التعامل معهم.

"خوفو": أمر سيدى القائد، وجُهزت الحملة، وانطلقت إلى حرب "شاسوا" التي تمردت، وانطلق الجنود إليهم، وهناك التقى جنود تحتمس الثاني بجيش "شاسوا"، وكانت حربٌ داميةً؛ قطفت الرؤوس، وتمزقت الأجساد، وارتوت الرمال بالدماء، وتعالت الصيحات، وهرب المعتدون، وفروا كالثعالب إلى الجحور، وتبعهم جنود تحتمس، وقضوا عليهم جميعًا، وتمكن جنود تحتمس من تحقيق النصر، وسقط زعيمهم صريعًا، فتفرقت صفوفهم، وسيطر جنود تحتمس على المنطقة، وأمّنوا الحدود الشرقية لمصر تأمينًا تامًا، وأرسل "خوفو" برسالة إلى القائد "حابي" يعْلِمه بأحداث المعركة، ويطلب إليه إرسال مدد من الجنود؛ لأن الحربَ كانت ضاريةً، وقد سقط عديدٌ من الجنود في المعركة، ووصلت الرسالة إلى "حابي"، فانطلق بها إلى الفرعون، فدخل إلى ساحة الملك محيي الملك، وأخبره بأن الحملة قد حققت انتصارًا على بدو "شاسوا"،

فجلس الفرعون على الكرسي، وتنفس الصعداء قائلًا: إن انتصارنا على "شاسوا" انتصارًا عظيمًا، فبدو "شاسوا" أقوياءُ، وهزيمتهم ليس بالأمر اليسير.

"حابي": سيدي الفرعون، إن القائد "خوفو" يطلب مددًا من الجنود؛ لأن كثيرًا من جنودنا سقطوا في المعركة.

الفرعون: أرسل إليه المدد، واجعله يؤمن المنطقة تأمينًا كاملًا، وأن يكن يقظًا؛ لأن قوم "شاسوا" ماكرون. "حابي" أمر الفرعون، سأرسل إليه الجنود ومعهم رسالة إلى "خوفو" تحوي تعاليم الفرعون.

الفرعون: وعليك أن تقوم بمهمة أخرى.

"حابي": أمر الفرعون العظيم.

الفرعون: عليك بعد انتهاء فترة العيد، أن تتجه بنفسك إلى الجيوش المرابطة على الحدود، وتتفقدها، وتعرف الأوضاع عن قرب، ثم تعود مرة أخرى؛ لجلب الأخبار المؤكدة إليَّ.

"حابي": السمع والطاعة لفرعون مصر، فينحني "حابي" منصرفًا، ويذهب إلى الجيش؛ لإرسال المدد إلى "خوفو"، وذهب لمقر الجيوش في طيبة، واختار الجنود الذين سينضمون إلى "خوفو"، وأخبرهم: إنهم سينطلقون غدًا؛ للانضمام إلى "خوفو" في تأمين حدود البلاد، واختار أحدهم قائدًا للحملة، وأعطاه البردية التي دُونت بها أوامر الفرعون، وعليه أن يسلمها لخوفو، وينفذ ما تحويه،

وفي إشراقة الصباح انطلق الجنود إلى "خوفو" بأرض "شاسوا"، وفي أرض المعركة "خوفو" ينتظر ذلك المدد قائلًا لجنوده، ومن تبقى على قيد الحياة: لقد حققنا نصرًا عظيمًا، وإن المدد من الجنود في الطريق إلينا؛ لتأمين حدود البلاد من الأعداء. فاليوم ظفرنا بالانتصار على العدو؛ فكونوا يقظين عسى أن يفاجئنا العدو بما لا نتوقعه، وأن المدد سيصل إلينا في القريب العاجل، وبعد مرور أكثر من ثلاثة أيام وصلت الجنود إلى أرض "شاسوا" بالمدد، فاستقبلهم "خوفو" مُرحبًا بهم، وسلمه قائد الحملة البردية، فقرأها، وفهم ما تحويه، ثم أخبر جنوده: إن الفرعون يحذركم من بدو "شاسوا" فهم ماكرون؛ فكونوا -دائمًا- مستعدين، لأي غدرٍ منهم، وانضمت الحملة إلى باقي الجنود، وتم التأمين التام، وبعد أيام أرسل قائد "شاسوا" الذي نجا إلى القائد "خوفو" معلنًا الاستسلام، فأخبر "خوفو" الجندي: عليه أن يأتي مستسلمًا إلينا، وباقي الجنود الفارين، ويعلن الولاء والطاعة لفرعون مصر. فانطلق الجندي إلى القائد، وأخبره برسالة "خوفو" وما كان من القائد إلا الموافقة، وذهب إلى "خوفو" هو ومن معه من الجنود الناجين من المعركة، وأعلن الولاء والطاعة لفرعون مصر والاستلام.

وقبيل عيد التتويج أرسل الفرعون إلى "حابي" أنه يريده الآن فوصلت الرسالة "لحابي" فحضر لساحة حكم الفرعون مقدمًا له التحية

والتعظيم، ولكن تحتمس تبدو عليه ملامح الحزن والألم فقال "حابي": أمر فرعون مصر العظيم.

الفرعون: يا "حابي"، أريدك في أمر تنفذه أنت بنفسك.

"حابي": تحت أمر فرعون مصر العظيم

الفرعون: أريدك أن تحضر لي الكاهن الأعظم إلى ساحة الحكم الآن، كما أريدك أن تذهب إلى معبد آمون، وتشرف على التجهيزات كافة بنفسك، فأنت المسئول الأول عنها.

"حابي": أمر الفرعون العظيم حاكم مصر.

فينطلق "حابي" من ساحة القصر على عجلته الحربية إلى معبد آمون، وقد امتلأت المدينة بالناس؛ لحضور عيد التتويج، وتقدم له الناس التحية والتعظيم كلما مر عليهم؛ حتى وصل إلى معبد آمون، حيث تقام فيه الشعائر الدينية، والطقوس الدينية للإله آمون، وانطلق حتى دخل المعبد سائلًا عن الكاهن، فأخبره أحد الكهنة الصغار: إنه بغرفته العلوية، واصطحبه إليها فدخل القائد محيي الكاهن مخبرًا إياه أن فرعون مصر تحتمس الثاني يبدو عليه الحزن والألم والقلق، وأن هناك شيئًا غير طبيعي يحدث مع تحتمس، ويريدك بالقصر الآن.

الكاهن متسائلًا: ماذا يريد الفرعون؟ هل هناك أمر ما؟

القائد "حابي": لا أدرى سيدي الكاهن الأعظم، ولكنه مُصرٌّ على مقابلتك الآن.

الكاهن: إذن هناك أمر جلل، هيَّا بنا؛ لنعلم ما هناك.

فانطلقا حيث ركب الكاهن الأعظم مع القائد عجلته الحربية، وتتبعهم الجنود حتى وصلوا إلى قصر الفرعون، ودخلا إلى ساحة الحكم، فالتقيا بالملك، وهو متكئٌ على كرسي الحكم؛ ولكنه يبدو عليه ملامح الحزن الشديد، فأشار إلى "حابي" بالانصراف، وهو جالسٌ على كرسي الحكم، وأشار إلى الكاهن الأعظم بالجلوس، فأخذ الفرعون يحدثه في أمر الاستعداد لعيد الجلوس على العرش، فأخبره الكاهن: إن كل الأمور تسير ببركة آمون، وأن آمون يبارك هذا العيد الذي يتوافق -أيضًا- مع عيد اكتمال القمر، وهذا شي عظيم، أن يواكب عيد جلوس فرعون مصر عيد اكتمال القمر.

فنظر تحتمس إلى الكاهن قائلًا: ما تنبؤاتك لعرش البلاد من بعدي، أيها الكاهن من سيرث هذا العرش، ومن سيعتليه؟ وكأن كل ما قاله الكاهن عن العيد، لم يشغلْ تحتمس.

الكاهن الأعظم: سيدي الفرعون، بالتأكيد.. سيرث العرش أحدٌ من نسلك، وسيكون فرعونًا قويًّا حاميًا لأرضنا، وأنه سيكون من زوجتك ملكة مصر، وأجمل سيداتها. أكيد ستلد لك الوريث الذي يعتلي عرش مصر، ويكون خلفًا لأبيه، وأجداده.

تحتمس: ولكن أريدك أيها الكاهن، أن تقيم الطقوس والشعائر الدينية للإله آمون بعد انتهاء أيام التتويج، عسى أن يباركنا آمون، وتحظى زوجتنا بالمولود الذي ننتظره جميعًا، ويكون وريثًا لذلك العرش، ويكون امتدادًا لنسل أجدادي من بعدي.

الكاهن: كل ما يأمر به فرعون مصر العظيم سيتم تنفيذه؛ ولكن سيدي الفرعون هناك شيئًا آخر يبدو عليك أثره.

الفرعون ناظرًا إلى الكاهن بتعجب قائلًا: ما أكثر فطنتك، أيها الكاهن!

الفرعون: إن ما يقلقني العرش من بعدي كما أخبرتك، وأن الأعداء مطوقون بنا من كل جانب. وهناك خطر يقترب أشعر بذلك، وأريد أن يكون وريثي ملكًا قويًّا، يستطيع محاربة الأعداء جميعًا، إنها المعركة الكبرى أيها الكاهن.

الكاهن: بفضل فرعون مصر تحتمس الثاني، وقوة جيشه خضعت كل الأعداء. والآن سيدي الفرعون، موعد جلوسك على العرش غدًا، والشعب من الوادي والدلتا قد حضر؛ لرؤية فرعون مصر وحاميها. فأنت بالنسبة لهم القائد والحاكم الذي قهر الأعداء.

الفرعون: ولكن تذكر ما أخبرتك به.

الكاهن: أمر الفرعون وطلب الانصراف، فأشار إليه أن ينصرف فخرج الكاهن الأعظم، والتقى بالقائد "حابى"، وأعلمه أن الفرعون ربما أصابه مرض ما، ولكن أبقى ذلك سرًا.

"حابي": أي مرض؟!

الكاهن: إن الفرعون لديه خوفٌ على عرش البلاد من بعده، وأنه يريد وريثًا لذلك العرش بأي ثمنٍ وهذا ما يقلقه، وانطلق الكاهن إلى معبد آمون؛ لتجهيز مراسم العيد، والطقوس المخصصة لذلك اليوم.

واتجه الفرعون إلى غرفته العلوية بالقصر الملكي مناديًا على خادمه كامون أن يذهب إلى الملكة، ويخبرها: إنني أريدها في الحال، فذهب كامون إليها، ثم أخبرها أن فرعون مصر يريدها بالغرفة الملكية. فانطلقت ودخلت، فوجدته غاضبًا، وأرادت تهدئته ولكنه كان غاضبًا، فقالت له: ما يغضبك؟ أهناك سوء حل بالبلاد؟ وكانت زوجته فطنة محنكة قوية، لها في أمور الحكم أكثر منه، وكانت هي التي تقدم له الحلول في كثيرٍ من أمور الحكم.

فنظر إليها قائلًا: وهل هناك سوء أكثر مما أنا فيه -الآن-؟

الملكة: أي سوء؟!

الفرعون: عرش مصر من سيورثه من بعدى، وأنا ليس لدى وريثٌ، يرث هذا العرش، وهل سينتهي مجد تحتمس إلى الأبد؟ أريد وريثًا لذلك العرش. فنظرت إليه الملكة، وكانت ذكية جدًا، قائلة: كل شيءٍ له موعد محدد، والآن دعنا من كل هذا، وهدّأ من روعك فتمسك يديه في جو من العشق والرومانسية؛ حتى تنسيه

غضبه وهمه وانتهت ليلتهما. وأشرق نور الصباح معلنًا عن يوم جديد يوم العيد المنتظر الذي ينتظره الجميع. وكان الناسُ قد تكدسوا داخل معبد آمون. والجنود أمام قصر الفرعون ينتظرون خروجه في موكب مهيب، يدل على عظمة الفرعون، ونزل الملك مرتديًا درعه، وركب عجلته الحربية، ومعه القائد "حابي"، ويتبعهم الجنود. والناس تصطف على الجانبين، ويتبع موكب الفرعون أميرات مصر، وموكب الأميرة حتشبسوت زوجة الفرعون على هودجها الملكي الذي يحمله العديد من الخدم في أبهى زينة. والناس يتهامسون في جمالها ورونقها. وينظر إليها المصطفون، وهم يقولون لبعضهم البعض متهامسين:

هذه هي حتشبسوت زوجة فرعون مصر، يا لروعة جمالها!

يا لها من جميلة ورائعة!

ويقول آخر:

إنها -فعلًا- جميلةٌ، كأنها من الآلهة، وإن جمالها لا يضاهيه جمالٌ، فهي أجمل أميرات مصر، وأرقى سيداتها. فهى هديةٌ من آمون للفرعون تحتمس الثاني.

ودخل الملكُ المعبدَ، وتبعه حتشبسوت، والأميرات، والجنود، والقائد "حابي". وأشار إلى الكاهن الأعظم أن يبدأ في الشعائر الدينية الخاصة بعيد التتويج. فأخذ الكاهن الأعظم يمدح في فرعون

مصر، وأن آمون يبارك ذلك اليوم، يوم جلوس تحتمس الثاني على العرش يوم ميلاد الفجر الجديد لمصر العظيمة، ويعد امتداد لمجد أجداده الفراعنة العظام، وأن آمون إله المصريين يباركم جميعًا. فتتعالى الأصوات بالهتاف لآمون، وتمجيده، وبعد انتهاء الشعائر الدينية قام الملكُ قائلًا: إلى كل من حضر إلى معبد الهنا العظيم آمون، وارتوى من النيل الخالد، إننا نحن ملك مصر تحتمس الثاني نباركم جميعًا. فمصر هي أرض الفراعنة العظام. الأرض التي تحوينا جميعًا. فمن دافع عنها، وحماها، فإنه منا. ومن خانها وخزلها، فهو ليس منا، ولا ينتمي إلى نيلنا الخالد. فالأعداء جميعًا من حولنا يريدونها، فهي بالنسبة لهم الغنيمة الكبرى، فعليكم أن تدافعوا عنها لآخر فرد فيكم، وسيكون المجد لكم دائمًا. فهلل الجميع مادحين الفرعون تحتمس الثاني، ثم أشار إلى الجميع بالاحتفال، وتقديم الهدايا، والقرابين إلى آمون. وانطلق هو وزوجته بعد انتهاء الاحتفال بالعودة إلى القصر. وهي ما زالت تفكر في الحديث الذي دار بينها، وبين الفرعون عن وريث العرش، وقضت ليلتها مع الملك، في جو يغمره الحب والرومانسية.

وفي الصباح أرسل للقائد "حابي" فحضر إليه مقدمًا له التحية والتعظيم، فأخبره أن عليه أن ينطلق غدًا إلى الجنود المرابطين على الحدود للاطمئنان على الأوضاع هناك. "حابي": أمر الفرعون، وفي الغد سأنطلق إلى الجنود في "شاسوا" للاطمئنان على أحوالهم.

وفي الصباح ينطلق القائد "حابي"، ومعه بعض الجند إلى "شاسوا" التي وصل إليها بعد بضعة أيام، فاستقبلوا القائد "خوفو"، والجنود، وانطلقا إلى مقر الجنود.

"حابي" متسائلًا: كيف الوضع -هنا- مع "شاسوا"؟

"خوفو": ليس هناك أي شيءٍ ظاهر يدل على خديعة، أو مكر من "شاسوا"، وأنهم مستسلمون لنا تمامًا، بعدما أعلن ذلك قائدهم، وجنوده. وليس هناك ما يقلق هنا.

"حابي": كن -دائمًا- يقظًا، فأننا لا نأمن مكر "شاسوا"، وربما يكون استسلام بعض الجنود، والقائد خدعة منهم. كن حذرًا، واعلمني بكل ما يدور حولك أولًا بأول.

"خوفو": أمر القائد.

"حابي": إنني غدًا سأنطلق بالعودة؛ لأطمئن الفرعون. فيمر ذلك اليوم، ويعود "حابي" بعد فترة من الوقت إلى الفرعون. فيدخل القصر، يستقبله الفرعون سائلًا: مرحبًا بك "حابي"، وبعودتك. أخبرنا ما أخبار جندنا على الحدود؟

"حابي": إن جنودنا على الحدود كالأسد الضارية، وأنهم استطاعوا إخضاع الأعداء جميعهم، وكسر شوكتهم، فلا قلق، ولا خوف، فرعون مصر العظيم، وأثناء حديثهم يسمع الملك صرخات، فيدخل كامون مسرعًا قائلًا: سيدى الفرعون، إن الملكة سقطت أرضًا.

فأصيب الجميع بالهلع، فانطلق الملكُ مهرولًا إليها. فيرى الخادمات قد وضعوها على السرير الخاص بها، وهي راقدة لا تتحرك، فيطلب من خادمه كامون، أن يذهب مُسرعًا؛ لإحضار الطبيب، فأحضروا أشهر الأطباء في مصر القديمة كلها "ايموحتب" إلى القصر وبعد إلقاء التحية إلى فرعون مصر دخل الغرفة التي تمكث فيها الملكة، وبعد إجراء الكشف عليها، وحولها الخادمات والدموع يزرفن من عيونهن على الملكة. يخبرهم الطبيب بأن الأمر بسيطٌ، وأنها تحمل ابن الفرعون العظيم؛ فتحول البكاء إلى ضحكات، وخرجت أحد الخادمات مهرولة إلى الفرعون، تزف له البشارة، فتحيي الفرعون قائلةً: سيدى فرعون مصر، إن الطبيب أخبرنا بأن الملكة تحمل وريث العرش، فتهلل وجه الفرعون، وأعطاها قلادة فرعونية هدية لهذه البشارة، ثم انطلق إلى حجرة الملكة؛ ليطمئن عليها، فانحنى الجميع داخل الغرفة، وخرج الجميع، وجلس الفرعون بالقرب من زوجته مطمئنًا عليها وهي تقول له: قد باركنا آمون في ليلتنا، وأنني أحمل لك وريث عرش البلاد، ففرح، ونادى على خادمه كامون. فيدخل كامون مسرعًا منحنيًا قائلًا: أمر سيدى فرعون مصر العظيم.

الفرعون: أريدك أن تذهب إلى الكاهن، وتخبره أن يعلن في البلاد عن احتفالات كبرى، وتغدق الهدايا على الشعب بمناسبة قدوم الفرعون الصغير، وأن الفرعون قادمٌ على أثري.

كامون فرحًا: أمر سيدي فرعون مصر العظيم

ثم ينادى الفرعون على قائده "حابي"، فيدخل القائد مسرعًا مقدمًا التحية والتعظيم لفرعون مصر، يخبره: إنه يريد الانطلاق إلى معبد آمون -الآن- فعليه تجهيز الأمر.

"حابي": السمع والطاعة لفرعون مصر، وكل شيء جاهز فينطلق الفرعون، ويتبعه "حابي"، ويركب العجلة الحربية، وتتبعهم الجنود إلى معبد آمون، ويخرج الكاهن الأعظم لمقابلة الفرعون مقدمًا له التحية والمباركات قائلًا: أهلًا بفرعون مصر العظيم.

فيخبر الكاهن: إن الملكةَ ستلد وريث لعرش مصر، وأنني حضرتُ بنفسي؛ لتقديم القرابين والهدايا للإله آمون، وأريدك أن تقيم الشعائر الدينية والطقوس؛ حتى يبارك آمون حمل الملكة، وأن يكون الوريث مُباركًا من الأٰلهة.

الكاهن: أمر فرعون مصر وعظيمها، واتجه الكاهن نحو تمثال آمون مشيرًا بيده ببعض الحركات متمتمًا ببعض الكلمات، تنم على قيامه بما طلب الفرعون منه، ثم أغدق عليه الفرعون الهدايا والمجوهرات من أجل آمون.

وتمر شهور حمل الملكة مسرعة، ويتهيأ الجميع؛ لاقتراب ميلاد الفرعون العظيم، وأخذت مدينة الأجداد بالاحتفال لاقتراب مولد وريث عرش البلاد الفرعون الصغير. وتمر الأيام مسرعة. ويأتي

ميعاد الميلاد، والكهنة بالمعبد يقومون بالطقوس الدينية والدعاء للملكة والملك، والجميع ينتظر هذا اليوم، والخبر الذي سيزف من قصر الفرعون والهدايا التي ستغدق على الجميع من الفرعون فرحًا بالمولود الصغير، ولكن تأتي الأخبار مخيبة لآمال الجميع؛ لأن الملكة المقدسة قد وضعت أنثى، والملك كان يريد ذكرًا؛ لكي يعتلى عرش البلاد حيث الذكور -فقط- هم من حقهم اعتلاء عرش البلاد. وحيث كان تحتمس ملكًا ضعيفًا ومريضًا، وكانت حتشبسوت هي الحاكمة من خلف الستار فكان يريد التخلص من ذلك. فعلم الفرعون بالخبر فكتم غيظه، وذهب؛ ليطمئن على الملكة. وشاهد مولودته الصغيرة التي أطلقت عليها الملكة اسم "نفر رع"، وكان يتمنى في كينونة نفسه أن يكون المولود ذكرًا، فتنظر إليه حتشبسوت، وكانت ذكية فقالت بهدوء: فرعون مصر وزوجي الحبيب، أردت أن أهديك الوريث الذي تمنيته، ولكن جاءت أنثى ربما يكون المرة القادمة الوريث الذي تنتظره فداعبها الفرعون، وانصرف من حجرتها، وذهب لحجرته، والغيظ نيران تأجج لهيبه؛ حيث إن العرش من بعده خالٍ تمامًا. وليس هناك وريثٌ له، والكل يطمع أن يعتلى هذا العرش، وتمر الشهور مسرعةً؛ حتى تحمل الملكة بالمولود الثاني، وتمنى الفرعون أن يكون ذكرًا، ولكن خالفت كل الظنون والتوقعات ووضعتها أنثى -أيضًا- أطلقت عليها اسم "مونت رع"

وتصاب الملكة بتعب شديد أثناء حالة الوضع، وبعد فترة أخبره الطبيب: إن الملكةَ لا تستطيع الإنجاب مرة أخرى، ويقلق الملك قلقًا شديدًا؛ حيث إن مرضه يشتد عليه، وأن أيامه تنطوي مسرعة، وهو يريد وريثًا لذلك العرش. فأمر بإحضار القائد "حابي"، وانطلقا إلى معبد آمون فخرج الكاهن الأعظم وتبعه باقي الكهنة مقدمين للفرعون التحية والتعظيم. وأخذ يتحدث مع الكاهن الأعظم أن الأمل في أن يكون لي وريث للعرش قد انعدم؛ لأن الملكة حتشبسوت لم تنجب مرة أخرى، وبهذا صار الأمر مستحيلًا، وأن عرش البلاد لا بد له من وريث، أريدك أن تسأل الألهة، وتسأل آمون، وأن تجلب لي الحل أيها الكاهن، ومهما يكون ذلك لا بد أن تخبري، فلا بد أن يكون لذلك العرش وريثًا من نسل تحتمس.

الكاهن الأعظم: مولاي الملك، هل تسمح لي بالحديث؟

الفرعون: أشار إليه؛ لكي يتحدث، فقال الكاهن: مولاي الوريث ليس شرطًا أن يكون من ملكتنا العظيمة حتشبسوت.

الفرعون متعجبًا من كلام الكاهن: فسر كلامك أيها الكاهن، ماذا تقصد بكلامك؟! كيف يكون الوريث من غير الملكة؟ أنت تدري أن الوريث لا بد أن يكون من دماء ملكية، كما تعلم أيضًا حتى لو كان ذلك من سيدة أخرى؛ فإن حتشبسوت ستشعل نيران غضبها في كل مكان.

الكاهن: فرعون البلاد، يختار له محَظيّة تكون له زوجة، وتلد له الولد الذي يرث العرش، وأن توصى بالعرش له من بعدك، وأن يكون هو وريث العرش، والملك المستقبلي لمصر.

الفرعون: اترك الأمر، ودعني أفكر في هذا، وينطلق الفرعون عائدًا إلى قصره؛ حتى أرسلت إليه الملكة. فوجد الدموع تنساب من عينيها، والخادمات حولها تبكين؛ فدخل مسرعًا، وانصرف الجميع متسائلًا عن الحدث، فأخبرته بأن ابنتهما "مونت رع" قد أصابتها حمة شديدة، وأن الأطباء قد فشلوا في علاجها، فأخبرها بأنها سوف تكون بخير، وأن الألهة سوف تحميها وترعاها، وطلب من الجميع المغادرة مُطمْئنًا إياها بأن الأميرة الصغيرة سوف تكون بخير. وبعدما انصرف الجميع. جلسا بجوار ابنتهما، والطبيب معهما.

يحاول السيطرة على الحمة التي أصابتها. حيث مكث الجميع لوقت متأخر، ثم انصرف الطبيب مخبرهما: إنه -في الصباح- سوف يأتي إليها؛ ليطمئن على الأميرة الصغيرة، ويكون قد أحضر لها الدواء المناسب الذي يشفيها، وحين أشرق ضوء الصباح نظرت الملكة إلى ابنتها فوجدتها ساكنة، لا تتحرك؛ فقامت مفزوعةً، وأخذت تحركها يمينًا ويسارًا، فلا استجابة منها. فصرخت فقام الملك منزعجًا، أخبرته بأن ابنتها قد فارقت الحياة، وطرقت الخادمات الباب فدخلن، فوجدوا الملكة تنساب من عيونها الدموع، ونظرن إلى الأميرة

الصغيرة. فإذا هي مفارقة للحياة، فطلب من القائد والخادم كامون أن يحضرا الكاهن الأعظم؛ لإتمام مراسم دفن الأميرة الصغيرة، وأعلن الحداد في طيبة كلها حزنًا على موت الأميرة، ثم تم نقلها إلى البر الغربي؛ من أجل إكمال مراسم الدفن، وبعد انتهاء فترة الحداد. اشتد المرض على الفرعون، وشعر أن الأيام تسير به إلى النهاية، وأنه لاحقٌ بالأجداد. ولكن العرش من سيورثه من بعدي، ومن سيتصدى للأعداء المحيطون بنا، والذين يتربصون في كل وقت، وينتظرون الفرصة للانقضاض علينا، فلا بد من وريث لذلك العرش، و بينما هو جالس وعليه أثره التعب، خطرت بباله فكرة الكاهن، وسيطرت عليه تلك الفكرة، وأنه لا بد من وريث، ولكن كيف؟ وبعد انتهاء فترة الحداد التي أعلنت في البلاد على موت الاميرة يحضر الكاهن الأعظم كاهن آمون إلى قصر الفرعون، ويطلب مقابلته في أمر مهم، وعاجل؛ فيدخل الحارس، ويخبر الفرعون، بأن الكاهن الأعظم بالخارج يريد مقابلته في أمر مهم فيشير إليه أن يسمح له بالدخول، وبعد دخول الكاهن الأعظم مع تقديم التحية والتعظيم للفرعون مصر العظيم، أشار إليه الفرعون بالجلوس، وكان الفرعون يظهر عليه آثار المرض، وأن المرض قد تمكن منه، وهو الفرعون الصغير الذي يبلغ من العمر الثلاثون عامًا فقط، فقد لاحت عليه آثار التعب فقال الفرعون: أردت أن تخبرني بأمر مهم، وعاجل، فما هو؟

الكاهن الأعظم: نعم سيدي الفرعون، قد انتظرت فترة انتهاء الحداد على أميرتنا الصغيرة، وأنت سيدي قد كنت طلبت مني أن أفكر لك في حل في مشكلة الوريث، وقد أخبرتك -سابقًا- بأن الوريث ليس شرطًا أن يكون من ملكتنا العظيمة.

الفرعون قائلًا: نعم أيها الكاهن، تلك الفكرة ما زالت تدور في رأسي، ولكن ليس أي امرأة تكون أمًا لوريث عرش مصر، فالقصر مليء بالنساء وبرغم ذلك، فلا واحدة تصلح؛ لكي تصبح أمًا لابن فرعون مصر.

الكاهن: نعم يا سيدي الفرعون، وهذا ما أحضرني اليوم. لقد جلبت لك اليوم هدية من الإله.

الفرعون: هدية من الإله، أين هي؟ وماذا تكون؟

الكاهن: إنها بالخارج، فهل تسمح بإحضارها؟

فيسير الكاهن اتجاه باب القصر، ويحضر فتاة عليها وشاح، فاقتربت من الفرعون منحنية مبدية التعظيم والاحترام، ثم زال الكاهن وشاحها، فإذا بقمر قد ظهر في وضح النهار، فقال الكاهن: هذه هدية الألهة لفرعون مصر العظيم، وأنها ستكون محظية الملك من اليوم.

الفرعون: من تكون تلك الفتاة؟ ومن أين أحضرتها؟

الكاهن: إنها فتاة ابنة أحد رعايا الفرعون، وإنها مصرية النشأة، والأصل؛ ولكنها لا تنحدر لسلالة الملوك، وتنحدر من سلالة عامة الشعب.

الفرعون ينادي على خادمه كامون قائلًا: كامون خذها إلى غرفة مخصصة لها بالقصر، فيأخذها كامون إلى أحد غرف القصر الملكية، ثم يطلب الكاهن الانصراف، فيسمح له الفرعون، واتجه إلى غرفتها، فدخل الغرفة متأملًا جمالها، قائلة: سيدي الفرعون، منحنية أمام الفرعون مقدمة له التحية.

الفرعون ناظر إليها، فقال لها: ما اسمك؟

ففي خجل ،وبصوت منخفض قائلة: (إست) فأشار إليها بالجلوس، فجلست على مقربة منه فقال لها: بل تعالي اجلسي بجواري، وأخذ يحادثها، وتحادثه وقضى ليلته معها.

الملكة في الصباح تنظر فإذا بالملك يخرج من أحد الغرف الملكية، فتتساءل في نفسها لِمَ الملك قضى ليلته بهذه الغرفة الملكية؟ّ وأثناء ذلك فإذا بإحدى خادمتها تمر فتنادى عليها سائلة إياها مَنْ في تلك الغرفة؟ الخادمة: سيدتي، إنها إحدى الفتيات لقد أحضرها الكاهن بالأمس للفرعون، تشير إليها بالانصراف، وكأن لم يحدث شيءٌ، فهذه عادات الملوك أن تكون لهم محظيات أخريات، فلم تشغل الملكة بالها بمثل تلك الأمور، وانطلقت إلى الفرعون متسائلة من تلك الفتاة التي بالغرفة؟

الفرعون: لِمَ تسألين؟ ولكن سأجيب عليك: إنها ستكون زوجة لي إذا أنجبت الذكر الذي أتمناه.

حتشبسوت تشتاط غضبًا قائلة: وتكون ملكة مثلي، وأنا من سلالة الملوك العظام.

الفرعون: هدئي من روعك، إنها ستكون مجرد زوجة مثلها مثل غيرها، ولكنك أنت الملكة العظيمة، فتبسمت حتشبسوت، واطمئنت أن الغرض من تلك الفتاة هو الوريث للعرش.

واستمر الوضع هكذا فترة طويلة، وفي أحد الأيام أثناء لقاء الفرعون بإست، إذا بها تشعر بألم وتعب فينادى على الخادمة، أن تخبر كامون أن يحضر الطبيب حالًا، فتنطلق الخادمة، وتنادى على كامون، وتخبره: إن الفرعون يطلب منه إحضار الطبيب، فينطلق كامون، ويحضر الطبيب. ثم يخبره بأنها حاملٌ، وسوف تلد له الابن الذي يتمناه، وفرح الفرعون مختلطٌ بحزن لأن هذا الغلام ليس من دماء ملكية خالصة، ولكنه فرح؛ لأنه برغم كل هذا سيكون له وريث لعرش البلاد. سوف يكون ذكرًا، وسوف يلحقه بالجيش؛ ليكون قائدًا قويًّا قادرًا على التصدي للأعداء. وبعد انقضاء شهور الحمل المعتادة تضع إست مولودها، ويكون ولدًا، فيخبروا الفرعون بأن إست قد وضعت غلامًا ذكرًا؛ ففرح الفرعون فرحًا شديدًا، وأمر بإغداق الهدايا على الشعب، وعلى الحضور مما أغضب

حتشبسوت ثم انطلقا مسرعًا إلى غرفة إست؛ ليرى ابنه الفرعون الصغير، ويطمئن على إست، ففرح به وقال سأسميه تحتمس؛ ليكون هو الثالث. فصار اسمه تحتمس الثالث، وهذا -أيضًا- زاد من غضب حتشبسوت؛ حيث علمت أن الفرعون سيجعله وريثًا لعرش البلاد، وحتشبسوت تسعى؛ لكي تكون هي ملكة البلاد، ولكن تمضي الأيام، ويزداد مرض الملك، ويعجز الأطباء في مداوته. وأخبر الأطباء الملكة بأن لا جدوى من علاج الفرعون.

وقد شعر الفرعون أن نهايته قد اقتربت، وأمر بإحضار الكاهن إليه، فأسرع كامون إلى الكاهن، وأخبره: إن الملك اشتد عليه المرض، ويريد مقابلتك الآن، فينطلق الكاهن وكامون يلحق به إلى الفرعون. فيدخل الكاهن على الفرعون الذي اشتدت المرض عليه فأقعده تمامًا، وحضر قائده "حابي" وأخبرهم بأن وصيته للعرش من بعده لابنه تحتمس الصغير، وأنه سيكون هو وريث العرش. الكاهن: ولكن سيدى الفرعون تحتمس ما زال صغيرًا، ولا بد من وصي على العرش. فقال لهم: تكون الملكة حتشبسوت وصية على العرش؛ حتى يبلغ الملك الصغير قوته وشدته وكتبوا بردية بذلك. ثم تم وضع الخاتم الخاص بالفرعون عليها، وتم حفظها مع الكاهن. وأمرهم بالانصراف، وأبقى قائده "حابي" وأوصاه بالبلاد، وأن يكون عونًا لتحتمس الصغير، أذكرك "حابي": إن المعركة الكبرى قادمة كن

على استعداد. فالأعداء يتجهزون ويحشدون قواتهم، يريدون أي فرصة؛ لكي ينقضوا علينا. إن الحشد يقترب "حابي"، والخطر يدق دفوفه، والطريق إلى أرض المعركة ليس سهلًا "حابي".

نظر "حابي" إلى الفرعون، و هو حزينٌ على حالة الفرعون، أطال الله عمر فرعون مصر وحاميها، فينصرف "حابي" ويخفي خلف جفونه دموعًا على حالة الفرعون.

❊ ❊ ❊

٢

وما هي إلا أيام قلائل؛ حتى فارق الفرعون الحياة، وخيم الحزن على البلاد كلها الوادي والدلتا. حضر الكاهن الأعظم؛ لتجهيز المراسم الجنائزية لجنازة الفرعون، فحمل جثمان الفرعون؛ لتحنيطه، ثم إلى مثواه الأخير بالبر الغربي، وبعد انتهاء المراسم أرسلت الملكة إلى الكاهن، والقائد حابي، وقالت لهم: من سيكون لذلك العرش الفارغ؟

الكاهن: لقد أوصى الفرعون بأن العرش لابنه من بعده، وأنك ستصبحين وصية على ذلك العرش. فلم يعجب ذلك حتشبسوت التي كانت تدبر وتفكر أن تنفرد بالحكم، وكيف تكون هي ملكة مصر الأولى؟ وتكون هي الفرعون، ولكن لا بد من التخلص من هذا الغلام الصغير الذي سيعتلى العرش بأي طريقة تكون. وكانت حتشبسوت ذكية جدًا وكانت تلك هي خطتها القادمة للوصول إلى حكم مصر بأي طريقة تكون. فجلست وهي تسأل نفسها: كيف الوصول إلى العرش؟ وكيف التخلص من تحتمس الثالث؟

وأُعلن في البلاد نبأ وفاة الفرعون العظيم، وأقيمت الشعائر الجنائزية، وأقيمت مراسم الحداد، وخيم على مصر ظلام حزين،

وانطفئت قناديل الفرح في طيبة كلها، وأُودع الجثمان مثواه الأخير، والدموع تنهمر من عيون الجميع حزنًا على فراق ملك مصر وفرعونها العظيم، وكان الناس جميعًا يحبون الملك تحتمس الثاني الفرعون الصغير الذي وافته المنية في ظروف غامضة، ونتعالى الهمسات، وتبدأ الأنباء تسري في نواحي مصر بأن فرعون مصر قد تم قتله داخل القصر الملكي، فتنتشر الأخبار كانتشار النار في الهشيم، وبدأ الناس يتسألون من له يد في الخلاص من الملك؟

من صاحب المصلحة لإنهاء حياة الملك؟ وتبدأ أصابع الاتهام تشير كلها إلى زوجة الملك، ويجيبون أيضًا- على أنفسهم بأصوات خافتة، لا تكاد تغادر ألسنتهم عسى أن يسمعهم أحدٌ من عيون القصر المنتشرة في كل زاوية في طيبة، وهم يقولون: إنها حتشبسوت هي الذي تسعى؛ لتتخلص من الفرعون، لكي تعتلي عرش البلاد، وأن ابن تحتمس مازال صغيرًا عن فهم أمور الحكم، وشئون البلاد والدسائس والأخطار المحيطة بالدولة من جميع أنحائها. فنقل الخبر على ألسنة الرياح مسرعًا إلى أذان حتشبسوت حيث ذهب إليها أحد عيونها مهرولًا؛ حتى وصل إلى القصر الفرعوني، ودخل في قلق وطلب مقابلة الملكة. فدخلت الخادمة، وأخبرت الملكة أن "آني" يقف بالخارج يريد مقابلتك، ويبدو عليه القلق والتوتر سيدتي، فأشارت إليها أن تسمح له بالدخول بدون أن يقاطعهم أحدٌ،

وتنظر إليه، وهو يتصبب عرقًا قائلة: ماذا يقول الناس بالخارج؟ فيرتجف وكأن الكلام حشر بين فكيه يرفض الخروج، ويقول عذرًا ملكة مصر، إني أخاف أن أتفوه بما يقولون فتضحك وهي تقول: إذا أمر جلل ما جلبك، إنك جلاب المصائب دائمًا، أفرغ ما في جعبتك "آني" ولا تخبأ عليّ أي شيء، ولا تخجل من أي لفظٍ، ثم أشارت إليه بالكلام، فيقول: الشعب يردد، إنك تخلصت من زوجك الفرعون العظيم بعد كشف خيانتك الزوجية، وقد ضبطك متلبسة في أحضان أحد الأشخاص، فقمتما بالخلاص منه، وهناك من يقول: إنك تريدين الانفراد بالحكم واعتلاء عرش البلاد، وأن تحتمس الصغير ما زال طفلًا، لا يعلم من شئون الحكم شيئًا، وأنك تدبرين للخلاص منه كما تخلصت من أبيه.

تنهض غاضبة والشرر يتطاير من عيونها، وتضرب بقبضة يديها على جانب الكرسي التي تجلس عليه وكأن هناك نيران أوقدت بعيونها، وحل على وجهها الغضب، وهي تقول: من الذي يحرك أمواج النهر الراكدة، ويعكر صفو البلاد، وينشر الأخبار الكاذبة، أن هذا الشخص يريد تدمير البلاد، وله أغراضٌ سيئة، ولابد يا "آني" من معرفته، وأن ينال جزاءه، وهذه مهمتك القادمة، وعليك أن تنجزها في أسرع وقت، وأن تجلب لي اسم ذلك الشخص، ومن يساعدوه، ثم تشير إلى "آني" بالانصراف. ولكن ما زالت هواجس كلمات

"آني" تقرع في رأسها قرع طبول الحرب الضارية، وتصفق بيديها، فتدخل خادمتها الخاصة، وتخبرها: أن تحضر إليها "كامو" على الفور، فتنطلق الخادمة باحثةً عن "كامو"، ثم تخبره بأن الملكة تريديه،

فيحضر "كامو" مقدمًا التحية للمكلة، قائلًا: أمر ملكة مصر العظيمة، فتخبره: إنها تريد مقابلة القائد "حابي"، وعليه أن يبحث عنه، ويحضره إليها؛ في امر مهم. فينطلق "كامو" باحثًا عن "حابي" في أرجاء طيبة كلها، وأخذ يهرول من شمال طيبة إلى جنوبها، ومن شرقها إلى غربها؛ حتي وجده، فنادى عليه بصوت مرتفع مولاي القائد، فنظر إليه بعدما أوقف عجلته الحربية قائلًا: "كامو" يبدو عليك ملامح القلق والتعب ما وراءك؟ فأخبره: بأن الملكة تريد مقابلته على الفور، فركب معه عجلته الحربية، وانطلقا فدخلا القصر، وطلب "حابي" أن يخبروا الملكة، بأنه موجودٌ، يود مقابلتها، كما أمرت.

فتسمح له بالدخول مبديًا مظاهر الاحترام والتقدير للملكة، فتقول له: إن هناك أشخاصًا كالسوس ينخرون في عظام الدولة؛ لتقويض أركانها، وينشرون الأكاذيب بين الناس؛ لإثارة الرعية ولا بد من أخذ موقف حازم تجاه هؤلاء، فينظر "حابي" إليها، وهو يقول: من هؤلاء؟ وماذا يقولون، مولاتي الملكة؟

فتنظر إليه قائلةً: إنهم يثيرون كلماتٍ بأنني تخلصت من الفرعون العظيم زوجي؛ لكي انفرد بحكم البلاد، ومثل هذه الأقاويل تثير التوتر وتشعل النيران، ولا بد من القضاء على كل هذه الغوغاء.

يقول "حابي" ما تأمر به الملكة ينفذ في الحال، أخبريني بأسماء هؤلاء الشرذمة من الشعب الذين يؤججون دخانا بلا نيران.

فتنظر إليه معجبة بحماسته قائلةً: سأرسل إليك شخصًا سيخبرك بكل أسمائهم هؤلاء المخربين والمزعجين لأمن البلاد، كما أمنحك الصلاحيات كافة؛ لتتعامل معهم، ولكن بشرط لا أريد أن أسمع عنهم شيئا بعد ذلك اليوم، ولا بد من الضرب بيد من حديد على مثل هؤلاء، فإذا "بحابي" يقول: أمر ملكة مصر العظيمة، مجابٌ.

قالت" غدًا سأرسل لك من يخبرك عنهم، وأمرته بالانصراف، وجلست تفكر: هناك شخصٌ لابد من إقصائه إلى أبعد الحدود؛ لأنه يسعى للقضاء عل حلمي بالانفراد بحكم مصر.

ونتأوه قائلةً: "مونتوحتب" وزير زوجي تحتمس لابد من التخلص منه تمامًا، وبذلك يكون طريق العرش ممهدًا أمامي؛ لاعتلاء عرش البلاد، وأكون فرعون مصر العظيم، وغدًا ننظر ماذا يجلب "آني" من أخبار؟

ويمر اليوم بما تضمنه من أحداث، وتشرق على طيبة شمس يوم جديد، ويحضر "آني" وبيده قرطاس من البردي، ويبدو على وجهه ملامح الفرح والبهجة. ويطلب الأذن لمقابلة الملكة، فيسمح له بالدخول، وهو يقول: تحياتي لفرعون مصر، فتتبسم من كلمات "آني"، وتقول له: احضر ما عندك، قال: جلبت لملكة مصر أخبارًا

سارةً وسعيدةً، ومد إليها القرطاس البردي، ففتحته فقرأت الأسماء الواردة به، فاستبشر وجهها، وتورد جبينها، وهي تقول: هؤلاء الخونة، ولكن قالت "لآني": هناك اسمٌ لم تضفه إليهم، فقال "آني": من هذا؟ قالت الوزير، "آني".. ببدو على وجهه ملامح الدهشة، وكأن صاعقة من السماء قد هبطت عليه وهو يقول: الوزير!! فتنظر إليه بطرف عينها متسائلةً بمكر: أهناك اعتراض عليه؟؟ "آني": ومن يستطيع الاعتراض على أمر تريده ملكة مصر، وأخذ بتدوين اسمه داخل القرطاس البردي؛ ليكون ضمن المغضوب عليهم من قبل القصر الحاكم، ثم أخبرته أن يذهب إلى القائد "حابي"، ويسلمه البردية، وعليها ختمي؛ لكي يطمئن، ويعلم أنها أوامري. وانطلق بها إلى القائد "حابي" وهو يسأل نفسه: أمعقول الملكة تريد التخلص من الوزير؟! وذهب لمقر القائد "حابي" وطلب الأذن لمقابلته، فقدم له البردية، وهو يقول: الملكة أرسلت إليك هذه البردية، ففتحها وأمره بالانصراف، وأأخذ يقرأ في الأسماء، ثم وقف متعجبًا، وهو يقول: الوزير هو من يحرض الناس على إثارة الشغب، وإقامة الثورات ضد القصر، ويثير الفوضى ضد البلاد بدلًا من القضاء على التوتر، وإقامة العدل. يكون سبب زعزعة الأمن!! فلا بد من تنفيذ أمر الملكة على الفور قبل أن يعلم هؤلاء الخونة بقرار القبض عليهم فنادى على الحاجب، وأخبره؛ بإحضار" كامُس" رئيس الحرس

فدخل عليه بعد تقديم التحية للقائد، أخبره بتجهيز جنوده هناك مهمة عاجلة، لا بد من تنفيذها على الفور قال "كامُس": أمر القائد، ما طبيعة المهمة؟ فأخبره بأسماء الخونة التي يريد القبض عليهم في الحال، وأخبره: إنه ينطلق إليهم، وأنا سأنطلق إلى مقر الوزير. فانطلق الجميع كل على وجهته، فالقائد "حابي" إلى مقر الوزير، ثم دخل إليه، وأمر "حابي" الجنود بالالتفاف حوله صادرًا أمر بالقبض عليه، فيتعجب الوزير، وبصوته الأجش صارخًا: أنا وزير البلاد، كيف تجرؤون وتلقون القبض عليّ، فقال "حابي": تلك أوامر الملكة، ولا بد من تنفيذها، وأشار إلى جنوده باصطحابه، فيخرج وهو يقول: تلك خطط حتشبسوت تريد الخلاص من الجميع؛ لتنفرد بحكم البلاد، ولكن لا أحد يصغي لكلام الوزير، واعتبره البعض مجرد تكهنات من الوزير، كما تم القبض على الباقين، وأمر "حابي" الجنود وكبير الحرس "كامُس" باصطحاب الجميع إلى السجن الفرعوني المشدد إلى حين إصدار الأوامر، وذهب "حابي" يزف الأخبار إلى مسامع الملكة التي عندما سمعت بها، أشرق وجهها فرحًا، وهي تقول في نفسها: تلك الخطوات الأولى، وأخبرت "حابي" إن السجن لا يصح لمثل هؤلاء، لا بد من التخلص منهم دون أن يعلم أحدٌ، ولا يسمع لهم أحدٌ حسيسًا بعد اليوم. ولكي يعرف الجميع أن من يتحدث في أمور الدولة، يكون جزاؤه مثلهم،

وخرج "حابي" منطلقًا خلفهم؛ حتي لحق بهم، وأوقفهم قبل وصولهم للسجن، وأمر بضرب رقابهم فقام الجنود بتنفيذ الأوامر، فقُتل الجميع، وتوارت الأجساد خلف التراب، ولا أحد يعرف ماذا حدث لهم. فالجميع رأوهم متجهين إلى السجن، وبدأ الناس يتساءلون أين الوزير؛ ولكن جواسيس القصر أخبروا الناس: إن الوزير وضع في السجن المشدد، ومن يخوض في حديث مثل هذا سيلحق به، فخرست الألسنة، ومنع الكلام في مثل هذه الأمور.

وأرسل "حابي" للملكة يعلمها بالأمر، وأنه تم على أكمل وجهه دون أثر، أو دليل، ولا يوجد أحدٌ من اليوم اسمه "مونتوحتب"، ولا خلفائه الكل صاروا تحت التراب، فتستبشر وتقول: إن العوائق تسقط واحدة تلو الأخرى من أمامي للوصول إلى العرش، وفي سبيل حكم مصر. الكل يهون.

وتمر الأيام مسرعةً، وتندثر تحت ركامها الأحداث سريعًا، وحتشبسوت وصية على عرش البلاد، وعلى الفرعون الصغير تحتمس الثالث الطفل الذي لم يتعدَ الاثنى عشر عامًا ولكن تعد هي الحاكمة الفعلية للبلاد؛ نظرًا لصغر سن الفرعون، ولكن هذا ما لم ترِده حتشبسوت. فتود داخل كينونتها، أن تكون الملكة، وفرعون مصر بلا منازع، ولكن ذلك يخالف الشعائر الدينية والتقاليد الفرعونية؛ حيث إن فرعون مصر لا بد أن يكون ذكرًا،

ولكن بذكاء حتشبسوت وحيلها التي تنم عن عبقرية فذة. نادت على خادمتها، فدخلت مسرعة، فأخبرتها أن تبحث عن "كامو"، وتحضره إليها. فخرجت الخادمة مسرعة، وتبدو عليها ملامح الغضب، وهي تنادي في أركان القصر "كامو".. "كامو" فيرد عليها قائلًا: ما بك؟ ولِمَ يبدو عليك التوتر والقلق؟ قالت: إن الملكة تريد مقابلتك في الحال، واذهب إليها على الفور، فيبدو عليها ملامح التوتر والقلق والغضب، فقال لها: هيّا بنا لنرى ما هناك؟ فدخل، وأدى تحية التعظيم والتفخيم والاحترام، وأخبرته: إنها تريده في أمر مهم، أن يذهب إلى معبد آمون، ويبلغ الكاهن الأعظم: إن الملكة تريد مقابلته على الفور. فذهب "كامو" للمعبد مسرعًا، وأبلغ الكاهن الأعظم بما أرادته الملكة، وفي الصباح ذهب الكاهن الأعظم لمقابلة الملكة، فقدم لها التحية. هي والفرعون الصغير ثم أشارت إلى الموجودين بالانصراف خارج المكان. فينصرف الجميع لم يبقَ إلا هي والكاهن الأعظم. وبعد أن أخلى المكان أخبرته: إنها تريد مساعدته؛ في أمر عاجل، فقال الكاهن: ما هو ذلك الأمر العظيم؟

قالت: لا بد أن أكون أنا فرعون مصر بلا شريك، أو وصاية على أحد؛ لأن تحتمس منذ أن التحق بالمعبد قبل وفاة الفرعون العظيم تحتمس الثاني، وهو يعيش كأحد الكهنة هناك، وأنا على عاتقي مسئولية الحكم، ولكن أريد أن أكون الحاكم الفعلي للبلاد، ويكون

اسمي يتردد في كل مكان، وأعلن ملكة وفرعون لمصر في الوادي والدلتا.

الكاهن: لكن هذا الأمر يخالف النصوص والشعائر الدينية كلها المعمول بها في تولية الحكم؛ حيث إن لا بد أن يكون الحاكم ذكرًا، وليس أنثى، وأن مثل هذا الأمر سيؤدي إلى فوضى عارمة في البلاد، وإلى إنهاك الدولة وضعفها وطمع الأعداء فيها، وهذا ما حذرنا منه زوجك قبل موته.

الملكة -في نفسها: أن خطتي تسير كما خططت لها قائلة للكاهن: ولكن العرش فارغٌ، وهذا -أيضًا- سيؤدي إلى إضعاف الدولة، وطمع الأعداء فيها من كل جانب، وإني أعلم بأن الحاكم لا بد أن يكون ذكرًا، ولكن أرسلت إليك اليوم؛ لأن ليلة الماضية حدث لي أمر في غاية الغرابة، ولذا أرسلت إليك؛ لتفسر لي هذا الأمر.

قال الكاهن: ما هو ذلك الأمر؟

تفكر برهة قليلة، ثم تقول: إن ليلة البارحة قد رأيت في منامي، بأن آمون إله مصر العظيم قد زارني في المنام، وقد أخذ بيدي، وأجلسني على عرش مصر، وأجرى مراسم التنصيب على أي شيء يدل ذلك أيها الكاهن الأعظم؟ قال الكاهن: هذه إشارة من آمون؛ لاختيارك حاكمة لمصر، وإنك الملكة التي يريدها آمون؛ لاعتلاء عرش البلاد، فهو نصبك بنفسه، فمن يستطيع ممانعة ذلك، وسوف أخبر كهنة

المعبد بهذا الخبر العظيم، فذهب إلى المعبد، ثم نادي في الكهنة قائلًا: إن آمون زار الملكة، ونصبها فرعون على عرش البلاد، فهمست الألسنة، وزاغت العيون. إن ذلك يخالف شعائر مصر، فيفطن الكاهن لِمَ تحويه نظرات العيون، فقال: إن آمون أراد ذلك فمن يستطيع معارضة أمر آمون، فوافق الجميع على تنصيب حتشبسوت فرعون لمصر، وزف ذلك القرار في طيبة كلها، بأن فرعون مصر وحاكمها الجديد هو الملكة حتشبسوت، ولكن كان هناك من يثير القلق والاعتراض بين الناس والكهنة. إن الفرعون لا بد أن يكون ذكرًا، وكان ذلك هو تحتمس الثالث نفسه الذي لم يرغب في تولية حتشبسوت حاكمًا على مصر؛ لأنه الأولى بالحكم، وكان قد شب وكبر، ولكن لا جدوى مما يفعله؛ لأن ما يقررونه الكهنة في مصر يوافق عليه الناس، لأنهم في نظر الناس هم خادمون آمون، وهم الذين يلتقون الأوامر منه، وما يقررونه هو ما قرره آمون، وبقرار الكهنة اعتلت حتشبسوت عرش البلاد، وأصبحت فرعون مصر منفردة، وليست وصية، أو مشاركة لتحتمس الثالث، وبتولية حتشبسوت عرش البلاد كسرت القاعدة التي تقول: إن الملك لا بد أن يكون ذكرًا، ولكن ما زال الشعب يهمس في نفسه، ويضع أحواله بين الرفض والقبو،ل ولكن لا جدوي وتحتمس ما زال يحاول أن يضع في نفوس الناس الرفض بقبول تلك الأوضاع، ولكن عيون القصر نقلت لها ما يهمس به

الناس. فدبرت وخططت واستشارة من حولها، فأشاروا عليها: إنها لا بد أن تغير من مظهرها؛ لكي تقنع الناس بقوتها كفرعون، وفعلًا اقتنعت بذلك. فبدأ تغير من مظهرها، فارتدت ملابس الرجال مثل أسلافها الفراعنة، وصنع لها ذقن مستعار، وبذلك صارت فرعون مصر الحاكم بلا منافس، وكانت تميل إلى السلام أكثر من ميلها إلى الحرب ولكي ترسي قواعد حكمها كان لا بد من القضاء على التمرد القائم ضد مصر في بلاد النوبة؛ حيث تزعم أحد الأشخاص، وثار ضد حكم حتشبسوت، فجهزت حملات عسكرية ورسلتها إلى بلاد النوبة. وحققت هذه الحملات أهدافها، وقضت على الثائرين والمتمردين، وتم قتل زعيم المتمردين هناك. واحتفل الشعب المصري، وتزينت طيبة احتفالًا بانتصارات الحملات العسكرية، وأرسلت إلى القائد "حابي" فحضر إليها، وأخبرته: إنها تريد الاطمئنان علي جنودنا في "شاسوا" و"كوش" و"النوبة"؛ لأن الأعداء أخذوا يتجمعون مرة أخرى، ويكونون تحالفًا. فيتذكر "حابي" كلام تحتمس حين قال له: إن الأعداء ستجمعون ويشنون حربًا علينا، فلا بد أن نكون جاهزين، إنها المعركة الكبرى، وتنظر الملكة إلى "حابي"، وهي تقول:

ماذا أصابك؟

فقال لها: لا شيء.. لقد تذكرت كلام الفرعون تحتمس الثاني، إنه حذرني من ذلك.

الملكة: مما حذرك الفرعون؟

"حابي": لقد أخبرني بأن الأعداء سيتجمعون مرة أخرى، وينتهزون فرصة انشغالنا بأمور الحكم، وينقضون علينا؛ فكن حذرًا.

الملكة: لقد كان محقًا "حابي"، والآن لا بد من الاطمئنان على قواد الجيوش هناك.

"حابي": سأرسل رسلًا إلى قواد الجيوش؛ للاطمئنان على الأوضاع هناك، وانتظر منهم الرد، وأخبرك بكل الوضع فرعون مصر العظيم، وخرج ثم أخذ في كتابة الرسائل إلى الجنود هناك، وانطلق الرسل كل إلى وجهته بالرسائل، وأخبرهم أن يأتوا بالرد في أقرب فرصة.

وبعد مرور شهر تقريبًا حضر الرسل بالرسائل إلى القائد "حابي"، وجاءت الردود كلها مطمئنة، وأن لا يوجد مما يدعى إلى القلق، وفي أحد الرسائل التي وردت من "شاسوا" أخبروا أن القائد "خوفو" قد مرض وفارق الحياة، ونريد من فرعون مصر أن يكلف قائدًا للجنود، فالقائد خوفو قبل موته جعل أحد الجنود أن يكون القائد لحين إرسال الأوامر الجديدة، فانطلق "حابي" بتلك الأخبار إلى الملكة، وطلب مقابلتها فسمحت له، فقدم لها التحية، ثم أبلغها بالأخبار التي وردت إليه، وأعلمته أن يرسل رسالة إلى الجنود في "شاسوا" أن الفرعون يقر بما أقره القائد خوفو إلى حين أن يصل إليكم القائد "حور رع"، وأن يبلغوننا بما يحدث عندهم.

"حابي": أمر فرعون مصر.

الملكة: واكتب رسالة إلى "حور رع" أن يلتحق بالجيش في "شاسوا" وأن يكلف أحد قادته هناك في "كوش" ؛لمتابعة الأمر.

"حابي": كما تأمر الملكة.

الملكة: وأريدك -أيضًا- أن تضم إلى قواد الجيش تحتمس الثالث فهو عنده مهارة عسكرية عليك أن تدرجه ضمن القواد.

"حابي" يستأذن للخروج؛ لتنفيذ المهام التي طلبت منه.

وانطلق القائد "حابي" في كتابة الرسالة، ثم أرسلها إلى الجنود في "شاسوا" وكتب رسالة أخرى إلى القائد "حور رع"، وانطلق الجنديان؛ لتوصيل الرسائل.

ثم ذهب إلى معبد آمون، والتقى بتحتمس الثالث حيث صار شابًا، وأخبره بأوامر الفرعون، وعليه أن يلتحق بجيش الفرعون.

تحتمس وكيف التحق بالجيش؟ وهي الذي انتزعت مني الحكم.

"حابي": إن أباك الفرعون العظيم تحتمس الثاني أراد أن تكون حاكمًا وعسكريًّا قويًّا؛ لمحاربة الأعداء، وأن ما قاله أبوك يتحقق فالجيش هو مكانك المناسب، وأن الأعداء أخذوا يتجمعون مرة أخرى، ولكن جنودنا استطاعوا إخماد ما يقومون به، وعليك أن تنضم إلى الجيش، وتكون أنت القائد.

تحتمس الثالث: كيف ذلك؟!

"حابي": إنني مريضٌ، وقد هرمت. وإن المرض يجري بداخلي، وأريدك أن تكون بالجيش تتولى أموره كلها، وأنت الذي تدربت في ساحات القصر والمعبد على الحرب والقتال، وأنك ابن الفرعون وستكون الحاكم لمصر في يوم من الأيام، وأن القائد الحقيقي هو من في ساحة القتال، وليس بالجلوس في القصور، فينظر تحتمس إلى "حابي" وهو يقبض على يده، وأخبره بالموافقة.

ويأخذه، وينطلق إلى مقر القائد، ويلتحق تحتمس بالجيش، ويتولى قيادة أحد الفرق، وتصل الأخبار لحتشبسوت فتجلس مطمئنةً، أن تحتمس الثالث سينشغل بالتدريب، والأعداء، وينسى أمر الحكم، وهذا ما أريده.

وبعد مرور أيام، يصل حاملًا الرسائل كل إلى وجهته، فيصل إلى القائد "حور رع" قائلًا: سيدى القائد، هذه رسالة من الفرعون، والقائد "حابي"، يلتقطها "حور رع" ويقرأ ما فيها، ثم يجتمع بجنوده، وقادته فيخبرهم: إن القائد "خوفو" قد سقط في الحرب مع "شاسوا" وسوف ننضم إلى قيادة "شاسوا"، وأن الأمر -هنا- آمنٌ، ولا يوجد به قلق، وأن "حتحور" سيتولى الأمر -هنا-؛ لتلقي الأوامر، وتنفيذها. فيتقدم "حتحور" قائلًا: أمر القائد، وأمر فرعون مصر. ويكتب "حور رع" رسالة إلى القائد "حابي" يخبره: إنه في طريقه إلى "شاسوا"، ثم أعطاها إلى الجندي، فانطلق بها راجعًا إلى مصر. ويتجه "حور رع" وبعض الجند إلى "شاسوا"، وقد علم الجنود في

"شاسوا" أن القائد "حور رع" في طريقه بِناءً على الرسالة الواردة إليهم من الفرعون، وبعد مرور أيام، وانقضاء الليالي، يصل "حور رع" إلى "شاسوا" ؛ليتولى القيادة هناك.

ثم أرسلت الملكة إلى أحد مستشاريها تريد أن تخبره بأمر مهم، فحضر "ايموحتب" مستشار الفرعون، فأتى إليها على الفور مقدمًا التحية الملكية للفرعون مصر العظيم قائلًا: أمر فرعون مصر العظيم، فتنظر إليه بعيونها الحادة قائلةً: هناك أمرٌ أريدك أن تنفذه قال: أمر فرعون مصرأ ما هو ذلك الأمر؟

فتخبره: بأنها تريد بناء سفن تجارية؛ لتنشيط حركة التجارة بين مصر والدول المجاورة بها؛ لزيادة الصلات التجارية، وزيادة الود بين أمراء هذه الدول، وأعطته الصلاحيات جميعها؛ لإنجاز هذا الأمر.

فقال لها: أمر فرعون مصر مجابٌ، وأنه سيشرف بنفسه على بناء تلك السفن، وسوف تنجز في أقرب وقت ممكن، وأنه سيحضر أمهر الصناع من أقاليم مصر؛ لبناء السفن، وطلب الأذن بالانصراف. تم إرسال الرسل إلى حكام الأقاليم المصرية، بأن فرعون مصر يريد أمهر النجارين في كل إقليم، ومن ثم يتم جمعهم، وإرسالهم إلى طيبة؛ للعمل في بناء السفن التي تشيدها الملكة حتشبسوت، حضر الصناع من كل الأقاليم، وبدأ العمل بكل جدية، والجنود يشرفون على

مراحل بناء السفن، ويُرسل التقرير يوميًّا إلى فرعون مصر؛ لإخبارها بم تم إنجازه من أعمال بناء السفن، ويحضر "ايموحتب" إلى مناطق البناء فيقف الجنود مرحبين به. وبدأ يتابع أعمال البناء، وبعد مرور أيام طوال من العمل الدؤوب أوشكت السفن على الانتهاء من البناء؛ حيث إن عدَد العمال يزداد يوميًّا، فكل يوم يحضر إلى طيبة عديدٌ من العمال؛ للمشاركة في بناء السفن، وإنجاز هذه المهمة الصعبة والشاقة على الجميع. والعمل لم يتوقف ليلًا أو نهارًا. وهذه كانت أوامر "ايموحتب" إنه لا بد من تكثيف العمل؛ لإنهاء هذه المهمة، وعلى الجانب الآخر كانت هناك عيون غاضبة؛ لأن العمل مرهقٌ جدًا، وليس هناك راحةٌ، والعيون حملت كثيرًا من الغيظ، فأوشكت على الانفجار، ولكن الجنودَ مسيطرون على كل الأوضاع، وكل الألسنة لم تستطع التفوه بكلمة واحدة، ولكن ما تبدية العيون وملامح الوجوه تنم عن نيران متأججة داخل نفوس العمال والعبيد الذين يعملون بلا انقطاع ليلًا ونهارًا، ويتمنون إنهاء هذا العمل بأي طريقة من الطرق.

ويأتي أحدُ الحراس باحثًا عن "ايموحتب" يخبره بأن فرعون مصر، يريد مقابلته الآن، فيذهبا مسرعين إليها، ويدخل "ايموحتب" مقدمًا لها مراسم التقدير والاحترام.

قائلًا: فرعون مصر العظيم.

فتقول إليه بحدة: إن العملَ لم يعجبني؛ فقد استغرق العمل وقتًا كبيرًا، فأخبرها: إن العمال يبذلون أقصى طاقة لهم، كما أنهم أوشكوا على إنهاء بناء السفن خلال الأيام القادمة سينتهي العمل، وتحضر فرعون مصر العظيم؛م للاحتفال بإنهاء السفن. وينتهى اللقاء، وينطلق "ايموحتب" إلى مقر العمل مناديًا: إن السفنَ لا بد من إنهائها؛ ففرعون مصر العظيم سوف يأتي في مطلعِ القمر الجديد، ليرى السفن. فيشتد العمل لأن بزوغ القمر لم يبقَ عليه إلا أيامٌ قلائل، وبالفعل ينتهي العمل، ويرسل "ايموحتب" إلى الفرعون: إن السفن جاهزةٌ، وتم الانتهاء منها -تمامًا-؛ فتأمر الجنود بتجهيز موكب الملك لزيارة مكان العمل، وتتزين المدينة بأكملها، وتنطلق الهتافات يحيا فرعون مصر العظيم... يحيا فرعون مصر العظيم، وينطلق الموكب، وتصحبه العبيد والعجلات الحربية إلى مقر العمل فتشاهد السفن التي أنهيت، وصارت جاهزةً؛ للإبحار، وأشادت بمهارة الصناع، وينتهي اليوم، ثم ترجع إلى قصر الفرعون، وما زال الناس يصطفون، ويقدمون لها التحية ويهمسون: إنها الفرعون.. إنها قويةٌ جدًا، ولا أحد يستطيع قهرها أبدًا. وتبدأ فترة الازدهار الاقتصادي لمصر، ويجني ثمار التعب والإرهاق والعمل الدؤوب. وتأمر "ايموحتب" بتجهيز السفن إلى الإبحار لبلاد "بونت"، وأني مرسلةٌ معهم رسالة إلى ملك البلاد، كما تريد قبطانًا ماهرًا قويًّا قادرًا على قيادة سفن مصر الخالدة.

"ايموحتب" قائلًا: ومن تظن الفرعون، إنه قادرٌ على تلك المهمة؟ تسكت برهة قائلةً: إن الشخص الوحيد القادر على ذلك، هو "حنينو" لا بد أن تبحث عنه، وتحضره إلى القصر في أسرع وقت ممكن، فأخذ يسأل عنه، وكلف القائد "حابي" الجنود بإحضار "حنينو" لقصر الملكة، وأخذ البحث عنه؛ حتي تم إيجاده في أحد السكنات بأطراف المدينة، ثم تم إحضاره إلى القصر، وقابل الفرعون. وأخبرته: إنها تريد عودته؛ ليعمل في مهنته السابقة، ويكون قائدَ السفن التجارية التي ستنطلق إلى بلاد "بونت" وتكون قبطانًا عليها فتهلل وجهه فرحًا، كما منحته صلاحيات ذلك، وذهب الجميع؛ لإطلاق الرحلة التجارية، وأبحرت الرحلة التجارية في النهر الخالد، وكان الفراعنة في الدولة الوسطى، قد أنشأوا قناة عند الدلتا، تصل بين النيل بالبحر المتوسط. فقامت حتشبسوت بتطهيرها؛ لتستخدمها في رحلتها، فانطلق الأسطول في نهر النيل، وكان بصحبه البعثة أحد الكتّاب، فأخذ يصف الرحلة، والمشاهد التي يمرون بها، فنادى "حنينو" أن يستعدوا؛ للانطلاق. فانطلقت السفن نحو الشمال، قطعت مسافات طويلة مستغرقة أيام طوال؛ حتي وصلت إلى بداية الدلتا، وسلكت السفن قناة "سيزوستريس" متجهًا إلى البحر الأحمر. و"حنينو" يخبر من معه أن يكونوا على استعداد؛ لأي حدث، فتهب الرياح عاصفة، ويرتفع الموج، وتتمايل السفن يميناً ويساراً. "حنينو" ينادى فيهم كل في مكانه، فلا يترك أحدٌ مكانه،

ومع شد الأمواج يهلع البعض، ولكن بحنكة "حنينو" استطاع السيطرة على الوضع؛ حتى رست السفن على شواطئ "بونت".

ثم أمر "حنينو" بإقامة خيمته، وكانت بلاد "بونت" عبارة عن قرى مكونة من عدة أكواخ قائمة على الماء، والكوخ مكون من طابقين. تصل إلى الطابق العلوي بسلم وتلتف حولها الأشجار. قابل "حنينو" ملك البلاد "بريحور"، وزوجته وأولاده الذين خرجوا يستقبلون بعثة فرعون مصر، فرحب بهم الملك "بريحور"، وأمر "حنينو" رجاله بإنزال الهداية المرسلة من قبل الفرعون، فانبهروا بها، وسلمه "حنينو" رسالة الفرعون فقرأها، ورحب بهم ترحيبًا حافلًا، وأظهر ملامح الكرم والضيافة إجلالًا وتعظيمًا لمصر وفرعون مصر، وثم حملت السفن بالبخور، والأحجار الكريمة، وجلد الأسود، وتم توطيد العلاقات المصرية مع بلاد "بونت". وبزغ نجم الفرعون الجديد في البلاد المجاورة كافة، ثم ترجع السفن بعد إنهاء مهامها محملة بالخيرات والكثيرة من الأشياء الموجودة في تلك البلاد، وتنشط عمليات التجارة الخارجية، وتزدهر التجارة في مصر، وتزدهر مصر اقتصاديًّا وبعد عودة السفن، وإجراء عمليات الصيانة لها تقرر الملكة إرسال "حنينو" برحلة أخرى فترسل إليه؛ لمقابلتها على الفور، فيذهب إلى القصر الفرعوني مقدمًا التحية لفرعون مصر العظيم، وأعلمها بأن السفن انتهت من عمليات الصيانة لها. فأخبرته: إنها تريده في رحلة

تجارية أخرى، فقال لها: إلي أي البلاد ستكون الوجهة؟ قالت له: إننا نريد توطيد العلاقات مع بلاد "فينيقيا".

قال: هذا قرار جيد، ونجلب أخشاب الأرز التي سنكون في حاجة كبيرة لها في الفترات القادمة في صناعة السفن، وصيانتها. وأعطته الأذن بالانطلاق.

فينطلق إلى فينيقيا حاملًا رسالة إلى ملك فينيقيا -أيضًا-، فرحب بهم ملك فينيقيا، وصارت العلاقات المصرية تزداد رويدًا رويدًا؛ حيث حملت السفن بأخشاب الأرز، ثم تعود الرحلة زاخرة وتتشابك العلاقات والصلات التجارية في عهد غنمت آمون -أي "حتشبسوت" -فرعون مصر، وتروج التجارة الخارجية والداخلية، ويستقر الأمن ويعم السلامأ والرخاء في مصرأ ويهتف الناس بحكم غنمت آمون فرعون مصر العظيم.

ومع الازدهار الاقتصادي الذي حظيت به مصر في عهد فرعون مصر غنمت آمون الحاكمة القوية التي فرضت سيطرتها، وذاع صيتها، وبزغ قمرها في السماء متلألأ. وما قدمته من علاقات ودية وتجارية عظيمة وطدت علاقات مصر الخارجية مع الدول المجاورة، وخلف كل ذلك تجدها أمًا حنونة عطوفة لها قلب يحب ويعشق كغيرها من النساء، برغم ما تظهره من شدة وحدة. وكأنك تقف

أمام شخصيتين مختلفتين تمامًا. فعندما تزيل ستار الحكم، وترجع إلى ابنتها "نفر رع" وتحضنها، وتداعبها وتلاعبها. فتفيض عاطفة الأمومة. وحين ذلك تخلع عباءة الحكم، وعباءة الفرعون، ومن وراء كل ذلك تجد "سمنوت" يراقب كل هذا؛ فهو المسئول والمشرف على تربية الصغيرة "نفر رع" والتي تخونه نظرات عيونه إلى فرعون مصر الملكة الجميلة البارعة في الجمال، فتنادى عليه فيرد مسرعًا: أمر فرعون مصر العظيم، فتسأله: كيف حال "نفر رع". فيرد "سمنوت" عليها بلهفة، وكأنه يتشوق إلى الحديث، والإكثار منه؛ لكي يسمع مزيدًا من صوت الفرعون الجميل فيقول: إنها وديعةٌ وهادئةٌ، وذات شخصية قوية، فقد ورثت كل ذلك من أمها الفرعون العظيم، فتبسم ابتسامة ود، وهي تقول له: قد بالغت "سمنوت" بالأمر. فيرد عليها قائلًا: لم أبالغ، فالشعب جميعه يشهد ببراعة وذكاء وحكمة وجمال فرعون مصر ومليكتها، ثم نتطلب منه: أن يتركها قليلًا مع "نفر رع"، فينصرف ولكن القلب ما زال يخفق خفقان العاشق، والمحب لفرعون مصر، ولتلك الجميلة التي أرتدت ملابس الفراعنة الرجال وتربعت على عرش مصر العظيمة. فقد أصيب "سمنوت" بأسهم آلهة الحب، فاخترقت قلبه وأشعلت فيه نيران حب غنمت آمون، ولكن يسأل نفسه: كيف يكون ذلك أنا أحب الملكة الجميلة؟ فيجيب عن نفسه: نعم!! ولكن كيف ذلك؟؟ وإذا علمت بذلك، ستكون رأسي معلقة

على باب قصرها. فكثير من الرجال يتمنون إشارة من الفرعون العظيم، فهل تنظر إلى مثلي؟ ثم يتأوه قائلًا: آآه.. أوقعت نفسي في شراك حبها، فكيف الخلاص من ذلك؟! ولكن أريد أن أخبرها، ثم انطلق إلى القصر والجنون علا رأسه، ولكن لم يستطع. وأخذ فقط يراقب خطواتها، وتتبعها نظراته، فقد أغرم بها لدرجة الجنون. وفي أحد الأيام أثناء جلوسها مع ابنتها الصغيرة، فنادت عليه، وقالت: "سمنوت"، ما لي أراك تلك الأيام شريدًا وحيدًا. فهي بذكائها وفطنتها علمت أنه قد أحبها، بل عشقها، فقالت: -دائما- كنت أراك سعيدًا مبتسمًا، ما الذي غيرك، أغضبت عليك الآلهة، وأصابتك بلعنتها؟؟ فلم يستطع أن يرد، وكأن الألسنة أصابها الخرس. فقالت : "سمنوت"، ما بك؟ ألم ترد على فرعون مصر!! فقال: عذرًا.. فرعون مصر، إن الحيرة شغلت رأسي، فلم أدرِ ما أقول، فأعذرني فذهني كان شاردًا بعض الشيء. السماح فرعون مصر العظيم، قالت: ما بك؟ هل أصابك شيء؟ قال: نعم.. أصابني، ما لم أتوقع أن يصيبني في يوم. لقد نظرت إلى أعلى فرأيت نجمة عالية، فأحببتها، ثم رأيتها في مكان، لم أتوق للوصول إليه، وأن كثرة النظر إليها ستكسر عنقي؛ حتي تطير رأسي. قالت: لقد أصاب العشق قلبك "سمنوت". فسكت، ونظر إلى الأرض. فقالت: من هي "سمنوت"؟ وهي تدري في نفسها، فقال: لم أستطع تلفظ اسمها.

قالت: إنك تعشق فرعون مصر "سمنوت"، فهل هذا صحيح؟؟ ففتح عينيه، وكأنه هبطت عليه صاعقة من السماء، وسقطت على ركبتيه قائلًا عذرًا فرعون مصر في هذا، ولكن أنه قلبي. لم أستطع منعه في ذلك. قالت: ولِمَ تمنعه "سمنوت"، فأنت مقربٌ إلينا وأقرب الأشخاص لقلوبنا، فتبسم، وطلبت منه النهوض والانصراف. فإنها تريد الجلوس مع "نفر رع"، وبعد أن انصرف جلست، وهي تقول: آآه.. "سمنوت"، لقد ذكرتني، بأن لي قلب امرأة تحب وتعشق. وقد أوشكت أن أنسى ذلك؛ فأمور الحكم ثقيلة، لا يعيها إلا من بلي بها. ولكن أنا فرعون مصر، هل يجوز أن أعشق سمنوت؟! نعم، أحبه.. ولا أنكر ذلك. ولكن لا أستطيع أن أتفوه بذلك، فإذا شاع الأمر هلك كل شيء، وشاعت نيران الغضب التي يكسوها الرماد. وأخذت تفكر؛ حتي غاصت أعينها في بحر النعاس، وأشرقت شمس صباح جديد، والأمل مشرق معها. والملكة وجهها مشرق، وخرجت وطلبت مقابلة "سمنوت"، فأرسلت إليه خادمتها، فأبلغته الخادمة: إن الملكة تريد مقابلته على الفور، فحضر، ومثل بين يديها، قائلًا: فرعون مصر العظيم، وطلبت من جميع الحضور بالانصراف، وقالت له: "سمنوت" ما تكلمنا به الليلة الماضية إذا علم به أحد سيزلزل أركان مصر؛ في دلتاها ووادیها، وسيثرون ضدي، وكهنة آمون سيقفون ضدي، وأفقد كل ما وصلت إليه. فأنا في نظرة

الشعب الفرعون المقدس، وزوجة آمون. فكيف لي أن أنظر إلى ما دون ذلك؟ فقالت: إننا نكن لك مشاعرًا نبيلة "سمنوت"، ولكن لا أريد أحد يعلم بهذا، وأطلقت عليه العديد من الألقاب، فوصلت ما أطلق على "سمنوت" ثمانين لقبًا، ولم يعلم أحد بحبهما أبدًا، ثم طلبت منه أن يصمم لها معبدًا جنائزيًّا بالبر الغربي، ويكون فائق الجمال.

ففي أحد جلسات القوم بالأسواق تساءل الناس، قال أحدهما: إن الملكة اليوم منحت "سمنوت" لقبًا جديدًا، وما السر والمكانة التي حظي بها هذا الخادم لدى فرعون مصر ومليكتها الجميلة؟ أكيد هناك سر خلف تلك الألقاب الكثيرة؟ فقال آخر: ربما يكون بينهم علاقة عشق وحب؟ فيرد عليه قائلًا: الخادم والملكة أيعقل ذلك؟! إنه أمر مشين في حق الملكة والآلهة ومصر، ولكن هل الكهنة يعلمون بذلك؟ فيرد آخر: إن الكهنة لا يتكلمون ما دامت بطونهم سمنة، وأيديهم مليئة بالعطايا والهدايا فهم لا يتحدثون.

فيقول الآخر: وهل هذا يرضي آمون، ولم يكمل حديثه؛ حتى قال له الآخر: اصمت -الآن- إن أحد أتباع القصر قادمٌ تحرك بنا، لعل يلاحظنا نتهامس على الملكة، فينقل الخبر فتكون رؤوسنا من فوق أكتافنا هي الثمن، وبرغم ما يدور "سمنوت" يعيش بحبه وولعه لفرعون مصر، ومليكتها وهو يراقبها بنظراته. وهي تلاحظ ذلك فقربته إليها، وجعلته أقرب المقربين إليها، كما جعلته من الشخصيات

البارزة في الدولة. وكانت غنمت آمون تردين قفزين، وهذا شيء لم يكن معروفًا. فسأل "سمنوت" لِمَ تردي غنمت آمون القفزات بيديها، فسألها: فخلعت أحداهما، وكان بيديها عيبٌ خلقي فكانت. هناك إصبع زائدٌ بيدها. فاليد بها ستة أصابع بدلًا من خمسة، فقال لها: إنها تزداد جمالًا، فضحكت قائلةً: أنت تجامل أكثر من اللازم "سمنوت"؛ لأنك تحبني، فمن يحب يري كل شيء جميل، ويرى محبوبه بأجمل وجهًا ممكنًا، ونتعالى الهمسات بين "سمنوت" و"غنمت آمون" وتزداد نيران الحب اشتعالًا، ثم ينصرف "سمنوت"، وتنصرف الملكة إلى غرفتها بعد الاطمئنان على "نفر رع"، ولكن ما زال الحب يطرق قلبها، والعشق يداعب عيونها، والتفكير يخيم في رأسها. وهي تقول: آآه.. إن الحب سيدمر غنمت آمون فيغالبها النوم.

وأشرقت شمس الصباح، وذهبت الملكة إلى مقر الحكم مبكرًا، وصاحت بصوت تعلوه نغمات الغضب؛ فيدخل الحارس مسرعًا مقدمًا إليها التحية والتعظيم، فتخبره: إنها تريد "سمنوت" في الحال، فينصرف مسرعًا، ولكن ما زالت غاضبةً، والحارس ينطلق في ردهات القصر الفرعوني الكبير باحثًا عن "سمنوت"؛ حتى وجده، فقال له: سيدي، إن الفرعون العظيم يطلبك في الحال، فيسأله: كيف يبدو الفرعون؟ قال: إنه غاضبٌ جدًا، وكأن نيران تأججت في

مجرى النيل، فشعر "سمنوت" بالخوف والقلق، وهو يهمس في نفسه، هناك خطر قادم إليك "سمنوت" فانطلقا إلى قاعة الحكم، فأخبرها الحارس: إن "سمنوت" بالخارج، فدخل مقدمًا التحية والتعظيم لفرعون مصر. فسألته: ماذا فعلت بما أمرتك به؟ فشك "سمنوت" أنها تسأله عن علاقته بها؟ فسكت برهة، وقال: عن أي شيء فرعون مصر العظيم؟ تنظر إليه بغضب قائلةً: هل بدأ العمل في المعبد الذي أمرتك بتشييده، فتنفس الصعداء قائلًا: إنني أجمع أمهر البنائين من الوادي والدلتا؛ لكي يكون هذا المعبد شاهدًا على أجمل فرعون حكم مصر، وأن العمل خلال أيام قلائل سيبدأ، فأعطته الأمر بالبدأ، والصلاحيات كافة التي يحتاجها، و بالفعل بدأ البنائون يقبلون على العاصمة من كل مكان؛ على السفن، وعلى الخيول، والحمير. وكأن هناك عيدًا أوشك أن يزغ قمره، وبدأ العمل في المكان التي اختارته الملكة؛ ليكون معبدها الجنائزي. وبدأ البنائون بنحت الصخور بالهضبة بالبر الغربي من النيل، وتم نحت العديد من التماثيل للملكة، وهي تظهر في أبهى صورة، وحرص "سمنوت" العاشق في إبراز أدق التفاصيل في تماثيل الفرعون، كما حرص على إظهار يديها طبيعتين بدون أي عيب يذكر، وبدون قفزات. وتم نقش إنجازات الملكة على أعمده المعبد وعلى المسلات التي شيدت. واستمر العمل فترات طويلة بدون كل أو تعب؛ حتى انتهى العمل

الشاق، وظهر المعبد في أبهى صورة معبد ينم على جمال وروعة ذلك الفرعون. فذهب "سمنوت" إلى الفرعون. وأخبرها: إن المعبد انتهى العمل به، وطلب منها زيارته، فوافقت. وأرسلت إلى القائد "حابي"، فلم يحضر، وحضر "كامُس" فسألته: أين القائد حابي؟ قال لها: إنه يعاني المرض والطبيب عنده، ولكن يعاني فتراته الأخيرة. فقالت: لا بد أن أراه. فانطلقت إلى "حابي"؛ لتراه فشاهدت الطبيب. وسألته: كيف حال "حابي"؟ قال: إنه يعاني لحظاته الأخيرة، فدخلت إليه ناظرة إلى مقعده مناديًا "حابي" ترعاك الآلهة، ففتح عينيه وأشار إليها بالترحيب، وبصوت متقطع حمدًا للآلهة، ملكة مصر. وخرجت إلى قصرها، وطلب "حابي" من حارسه: إنه يريد القائد "كامس" في أمر مهم، فذهب الحارس خلفه. وهمس له: إن القائد يريد مقابلته في أمر مهم، فذهب إليه وأشار اليه بالاقتراب، فجلس بجواره قائلًا: كامس، أنت قائد الجيش، وأن الحرب قادمةٌ "كامس": أي حرب؟؟ إن البلاد تنعم في الأمن والأمان والازدهار. لا تقاطعني "كامس" أن الأعداء يحيطون بنا، ويريدون أي فرصة للنيل من البلاد، وقد أخبرني الفرعون تحتمس الثاني أن الأعداء حشدوا قواتهم، وتجهزوا، وينتظرون الفرصة؛ ليسيروا إلينا، فكن حذرًا "كامس"، أن المعركة الكبرى ستكون من نصيبك أنت، ولكن متى؟ لا أحد يعلم،

ولكنها قريبةٌ. والطريق إليها ليس سهلًا، فجهز جنودك، واجعل كلامي في رأسك "كامس"، وتميل رأس "حابي"، وانقطع كلامه. فيهزه "كامس"، ولكن دون حراك. فيطلب الطبيب؛ ليراه. فيحضر الطبيب، فيخبره: إنه لحق بالفراعنة، والأجداد. فأرسل إلى الملكة، أن "حابي" القائد العظيم لحق بالفراعنة العظام. فأمرت بتجهيز جثمانه ودفنه، دفنة تليق بقائد ومحارب وتم الأمر. وأذيع الخبر بأن القائد "حابي" قد أودع الحياة، فحزن كثيرٌ من الناس عليه. وبعد انتهاء مراسم التشيع والطقوس الدينية، جلس "كامس" يفكر في كلام "حابي" وعن المعركة القادمة متسائلًا أي معركة؟ ومن الأعداء الذين يحشدون قواهم لمحاربتنا؟ ما تلك الحيرة؟! سأنتظر والأيام ستكشف لي كل شيء.

وبعد عدة أيام أعلنت الملكة "تحتمس الثالث" قائدًا لجيوشها خلفًا "لحابي"، ويكون مسئولًا عن أمن وأمان البلاد، وأخبرها "سمنوت": إن وقت زيارة المعبد قد حان، فانطلقا إلى المعبد بعد أن جهز القائد الجديد موكب الفرعون، وتصطحب الجنود والعبيد؛ حتى وصلوا إلى المعبد، فحيت "سمنوت" على هذا الإبداع، وأخبرته أن يجهز حجرة الدفن الملكية الخاصة بها، والتي ستمكث بها حياتها الأخرى الحياة الخالدة، ثم انطلقت عائدة لمقر الحكم. وأمر "سمنوت" العمال بتجهيز حجرة الدفن الملكية التي تم إعدادها في أبهى صورة،

وكأنها ليست حجرة دفن، ولكن قصر مصغر من الجمال والروعة، ثم فعل "سمنوت" شيئًا غريبًا غير متوقع، فجهز لنفسه حجرة دفن، ولكن قام خلسة بحفر نفق بين حجرة دفن الملكة، وحجرة دفنه. وهو يقول لنفسه: كما كنت معها في الدنيا، سأكون معها في الحياة الأخرى، فلا يوجد عائق بيننا، وبذلك أكون بجوار من أحب إلى الأبد.

ولكن برغم ذلك هناك عيون ترصد في الظلام كل التحركات، وتعد الأنفس على الملكة تريد إقصاءها بعيدًا عن عرش البلاد، ولا بد من القضاء عليها برغم كل الإنجازات والازدهار، والرواج التجاري التي حدث في عهدها. فما زال هناك من يقول لنفسه: أنا أحق بالعرش منها، فقد أودع تحتمس الصغير منذ تولى الملكة العرش منفردًا معبد آمون؛ حتى صار أحد القادة في الجيش، وتذكر كلام "حابي" بأنه سيكون خلفًا له، وستأتي إليه الفرصة؛ ليكون الفرعون والحاكم لمصر. وهو يبحث عن طريق؛ ليصل به إلى العرش، ولكن الكاهن الأعظم ما زال يقف بجوار الفرعون الحالي، فيقول تحتمس الصغير في نفسه: لا بد من طريقة، وأنا -الآن- قائد الجيش، ومقرب إلى الفرعون، سأجد مسلكًا، وسأكون الحاكم الفعلي. فيعلم بقصة "سمنوت" و"حتشبسوت" فقال: تلك هي الطريقة. وأخذ ينشر القصة بطرق غير مباشرة، فبدأت تسري بين

الناس كالنار في الهشيم، وقد ذهب إلى زيارة معبد آمون، وعند تقديم الهدايا لآمون، كان يقول: لا بد أن آمون سيغضب على الفرعون، وسيختار فرعونًا آخر ذكرًا. يكون قادرًا على محاربة الأعداء، وقيادة الجيش فيسأله أحد الكهنة، وصديقة المقرب: ولِمَ يغضب آمون على الفرعون؟ فيقول له: ألم تسمع ما يقال عنها، وعن "سمنوت" والحب المشتعل بينهما؟ وأن البعض يقول: إن "سمنوت" قد ضاجع الملكة في فراشها وما زال يفعل ذلك معها، فيندهش الكاهن، ويقول له: أنت تقول ذلك على زوجة أبيك، فقال له: إنها خائنة بما فعلت،ه ثم همس له الكاهن. إن الكاهن الأعظم قدم من عند الملكة كفى عن هذا الحديث، فينطلق تحتمس مناديًا أيها الكاهن الأعظم: إني أرى على وجهك ملامح الغضب؟ ماذا حدث، قال: إن فرعون مصر غاضبًا جدًا.

تحتمس، وما أغضب الفرعون العظيم؟!

الكاهن الأعظم: إن هناك أحدًا يقص القصص عن علاقة حب بين الفرعون وخادمها "سمنوت".

تحتمس: يتظاهر بالمفاجأة قائلًا: كيف يحدث ذلك أيها الكاهن، وما رأي الكاهن الأعظم؟

الكاهن الأعظم: لا أعلم ولكن الأيام المقبلة ستكون أيامًا صعبة على الجميع، وانطلق الكاهن الأعظم، ويتحرك تحتمس ضاربًا بقبض

يده على جدار المعبد متبسمًا، وهو يقول: بدأ حكمك يتصدع، وأوشك على الانهيار، وبدأ تحتمس يلعب على الأوتار من بعيد، وينفخ في النيران؛ ليتلهب شررها أكثر فأكثر؛ حتى وصلت الأخبار إلى الملكة بكل تفاصيلها. فالعيون الراصدة نقلت إليها الصورة كاملة؛ ليبدأ الصراع بين غنمت آمون، وتحتمس الصغير الذي يعتبر نفسه أحق بالملك منها، وأنها سرقت العرش، والحكم منه. فعندما علمت بأن تحتمس هو من يدبر كل شيء، أرسلت إليه "كامُس"، فأخبره: بأن الفرعون يريده -الآن-، فيصحبه معه إلى القصر، ثم يسمح لهم بالدخول، فتتوجه إليه قائلةً: إنك تلعب بنيران ستحرق البلاد، وتزعزع أمن البلاد من أقصاها إلى أقصاها، وأنت قائد الجيش الذي عليه حماية البلاد والدفاع عنها. وأنني قادرة أن أطيح برأسك، ولكن لا أنسى أنك ابن زوجي الفرعون العظيم تحتمس الثاني. فيرد عليها بغلظة وحدة مجردة من كل خوف: زوجك.. الذي ما زالت يدك ملوثة بدمه، وانتزاعك للعرش بتدبير من الكهنة الذى ملئت أفواههم بالعطايا؛ حتى لا يكادوا يستطيعون التنفس، وأخيرًا خيانتك العظمى مع خادمك، وتقربيه وتجالسيه بحجرة أبي فتزداد غضبًا، قائلةً له: أنت من الآن ليس قائدًا للجيش، وأني وليت "كامُس" بدلًا منك، والآن "كامُس" أقبض عليه فورًا، فينفذ الأمر، ويلتف الجنود حوله، وتضع الأغلال في يده، وتأمره

بوضعه في أبعد سجن ممكن. لا أريد أن أسمع عنه شيئًا. فيظهر على وجه تحتمس الثالث التهكم والغضب، واحمرت عيناه من هذا القرار، وأخذوه الجنود للخارج، وسط الحشد الغفير من الناس. ونادى "كامُس" فيهم: إن فرعون مصر العظيم اكتشف أن تحتمس الشاب يقوم بزعزعة أمن البلاد، وإثارة الفتن مما يضر بمصلحة البلاد، وإنه من اليوم ليس قائدًا للجيش، فالفرعون قام بتوليه قيادة الجيش لي. وقد، وأمر بحبسه في أبعد سجن بالصحراء القاحلة. واحضروا العربة؛ لنقله إلى سجن داخل القصر الفرعوني أولًا، ثم نقله إلى سجن الصحراء. ونظر "كامُس" إلى "تحتمس" هامسًا: لا أعرف ماذا أفعل؟؟ قد طارت كل الحيل، ولكن لا تقلق فيقول تحتمس: لا عليك، نفذ الأمر كما طلب منك.

فينادى "كامُس" قائلًا: إن تحتمس الشاب يقوم بإثارة الشغب، وزعزعة أمن البلاد ومن يتم اكتشافه بالتعامل معه، أو السير على نهجه وطريقته سيكون جزاؤه الموت بناء على تعليمات الفرعون العظيم.

وبعد أن خرج الجميع من مقر الحكم، ارتمت على كرسي الحكم في ألم وإعياء شديد، وهناك دموع تتقاطر من عيونها، وشعرت بألم في جسدها منعها تقريبًا من الحركة. فنادت بصوت منخفض، فسمعها الحارس، فدخل مسرعًا فوجدها ملقية على الكرسي، فنادى بصوت

عالٍ على من في القصر، فتجمع الجميع ودخل الخدم والجاريات مسرعين وقاموا بنقلها إلى غرفة فراشها بأعلى القصر الفرعوني. ويهرول "سنموت"؛ لإحضار الطبيب، ويبدو عليه علامات التوتر والقلق والخوف عليها، وحضر الطبيب ووقع الكشف عليها، والكل ينتظر خارج الغرفة. وكأن على رؤوسهم الطير، لا حسيس لهم. وكل العيون مصوبة على الباب، فتحرك الباب شيئًا فاندفع الجميع متقدمين سائلين الطبيب: كيف حال الفرعون؟ ولكن ظهرت على الطبيب ملامح عدم الاطمئنان. وأخبرهم: بأن حالة الفرعون متأخرة، ولا بد من ملاحظتها من وقت إلى آخر. وقد خرج الخبر من القصر كالريح المرسلة. إن حالة الفرعون سيئة جدًا، وربما يلحق بالأسلاف والأجداد. وبدأ شيء غريب يصير في الدولة، وهمسات تخرج، ولكن لم يستطع أحد أن يتحدث خوفًا من الفرعون بعد ذلك.

وفي اليوم التالي أشرقت شمس الخريف بتساقط أوراق الأشجار، والرياح تعصف قليلًا تنذر بشيء غير مطمئن أبدًا. فتتساقط أوراق الأشجار؛ لتزيل عنها عبث الزمن، فكما تسقط الأوراق يسقط -أيضًا- البشر سواء حكام أو محكومين.. سادة أو عبيد.. فتفارق الملكة الحياة، ويهرول الجميع يمينًا ويسارًا، ويحضر الطبيب؛ ليعرف ما حل بالفرعون العظيم. فيوقع الكشف عليها، فيخبرهم بأن الفرعون

العظيم لحق بالأسلاف والأجداد. فانهمرت الدموع كالنهر الجاري، وعلت الزفرات في الصدور كدوي النحل المنتشر، وينتشر الخبر في البلاد. فيحتشد الجميع أمام قصر الفرعون العظيم. فتم تجهيز الجثمان الملكي وإجراء مراسم التحنيط والدفن في مقبرة الملكة، وخيم الحزن على القصر الفرعوني، وعلى جميع الشعب حزنًا على فراق الملكة نظرًا لما رأوه في عصرها من أمن وسلام وازدهار في الحياة الاقتصادية، وتوطيد العلاقات مع الدول المجاورة، ورحلات تجارية زادت من العلاقات المصرية. و"سمنوت" في الجانب الآخر انفطر قلبه حزنًا على محبوبته، ومن شدة حزنه عليه أصابه المرض. وأصبح وجهه شاحبًا، ولم يستطع القيام أو التحرك، وهزل جسده وبعد مرور فترة ليست بالطويلة، لحق بحتشبسوت ودفن في مقبرته التي شيدها بجوار مقبرة الملكة؛ ليكون قريبًا منها في الحياة الآخرة كما كان قريبًا منها في الحياة الدنيا.

وتصل الأخبار مسرعة إلى أعداء البلاد إلى ملك "قادش" فيذهب جاسوسه إليه مسرعًا ناقلًا إليه كل الأحداث. فتضج قاعته بضحكة بصوته الأجش، وهو يقول: إننا لا ننال مصر، ولا نطأ أرضها إلا في ظل فرعون ضعيفًا. ففر يوم ما سيعتلي عرش مصر، وعندئذ ننقض عليه كانقضاض الأسود على الفرائس الضعيفة والشاردة، فلا تبقي لها لحم أو عظم. ونقضي على الفراعنة، وننال خير مصر،

ونشرب من نيلها الخالد، وتكون مصر لنا. ولكن لا بد من إشعال النيران أكثر فأكثر. وأنت تعود مسرعًا دون أن يعلم بك أحد، وتخبر الناس بِمَ حدث لتتحمس الشاب، وتذكر الناس بِمَ حدث لأبيه؛ لينال العطف من الشعب.

وتعتلي مصر الفوضى والأطماع الخارجية، وتنهمر عليها الأيدي من كل حدب وصوب، الكل يريد أخذ منها ما يشاء، وبعد وفاة الفرعون الذي شيد عصر من الأمن والأمان والازدهار والاستثمار. صار عرش مصر خاليًا، والناس تتساءل من سيكون الفرعون؟ هل ابنة حتشبسوت؟ ولكن تحتمس ما زال سجينًا، فينطلق "كامُس" على عجلته إلى تحتمس، ويخرجه ويخبره بِمَ حدث. فيعود "تحتمس"، ويقف الكاهن الأعظم قائلًا: إن عرش البلاد سيكون؛ لتحتمس الثالث ابن فرعون مصر تحتمس الثاني . فيعتلي ذلك العرش الفرعون الصغير الشاب تحتمس الثالث، ونظر الآخرون إلى هذا الشاب الصغير نظرة استهانة، وضعف وفرح الأعداء بذلك الفرعون؛ لأنهم بذلك يستطيعون السيطرة عليها، والنيل من أرضها وشعبها؛ لتغيب شمس الفراعنة إلى الأبد. وتشرق شموس الأعداء، وهنا جلس "كامس"، وتذكر ما أخبره به "حابي" قائلًا لنفسه: بدأ طريق المعركة يرسم ملامحه، وبدأت دفوف الحرب تدق، والأعداء يتجهزون، ولكن كيف المسير إليهم؟ وكيف نحارب

ونحن في تلك الفوضى العارمة؟ إن العدو يرقبنا ويرقب تحركاتنا وجواسيسه تنتشر في كل مكان لا بد من ملك قوي. هل سيعتلي تحتمس الشاب حكم البلاد؟ ولكن أين ستقع المعركة، وفي أي أرض ستكون؟ لا بد أن يكون الملك ذا قوةٍ وحنكة؛ لكي يواجه كل ذلك، ولكن تلك الفوضى لا تنم على خير.

* * *

٣

بعد أن فارقت غنمت آمون -حتشبسوت-الحياة، وأصبح عرش مصر خاليًا بلا حاكم، وتكالبت عليها ثعالب الفلا من كل مكان. وأصبحت فريسة، وكل الأفواه مكشرة؛ لتقتنص تلك الجميلة الغنية بكل الموارد التي يتمناه أي حاكم. فأمير "قادش" يخطط ويدبر في مقره كيفية السيطرة عليها، وأمير "مجدو" في الجانب الآخر تحوم في رأسه أفكارُ السيطرة عليها، وبدأ سوس الضعف ينخر في أركانها، والاضمحلال يحاصرها، والأعداء ينظرون إليها. الكل ينتظر الفرصة المناسبة؛ للانقضاض عليها.

وصارت كل هذه المشكلات تشتعل؛ حتى تم تتويج الفرعون الشاب تحتمس الثالث في معبد آمون، وتم إعلانه الملك والحاكم على البلاد. ولكنه ما زال شابًا صغير السن وسط تلك المؤامرات التي تحيط به وبالدولة. وليس لديه الدراية الكافية بأمور الحكم والسياسة؛ لأنها تربي داخل المعبد، وطار الخبر مسرعًا إلى أمير "قادش"، وأمير "مجدو" بأن حكم مصر اعتلاه الفرعون الصغير، فضحك أمير قادش. وأتكأ الى الخلف مقهقهًا وتعالت ضحكاته، وضحك كل المتواجدين في قصره، وتهامس البعض عن أسباب ضحك ملكهم العظيم.

فأجاب قائلًا: إن هذا الصغير الذي يدعونه تحتمس الثالث اعتلى عرش مصر وسيكون الطعم الذي أصطاد به عرش مصر وأرضها وملكها واستولى على كل خيراتها وارتوي من نهرها. فنظر الحشد بعضهم لبعض متسائلين كيف ذلك؟!

قال بغطرسة وتكبر ينم على الغرور: هذا الصغير الضعيف ليس عنده دراية بِما يدور حوله، وكيف سيسطر على الفتن والضعف والاضمحلال الذي يدور حوله. فسوف أجهز له جيشًا سيكون مفاجئًا له ولجنده. وسأكون حاكمًا على مصر، وسأقطع رأسه معلقًا إياها على باب قصري.

ونهى حديثه بضحكاته العالية، والغرور يسيطر عليه. ثم أمر قائد جيوشه بالاستعداد وتجهيز الجنود. ويكون الجميع على أهبة الاستعداد لتلك المعركة، وأرسل إلى "مجدو"، وإلى حاكم الدول المتيانية؛ ليخبر حاكمها بتلك الأخبار العظيمة التي وردته من مصر. وأن يكون مستعدًا لميعاد الهجوم على مصر؛ لنقتسم تلك الغنيمة الغنية.

وتحتمس الثالث صار الحاكم الفعلي لمصر، ولكن الأحداث حوله لا تظهر الخير أبدًا. فهناك قلق وتوتر يسيطر على عيون الناس، وأسئلة حائرة: هل سيسير على نهج غنمت آمون، أو على نهج أبيه، أو سيكون له طريقته الخاصة في الحكم. كل تلك الأسئلة وأكثر يتهامس بها الناس هنا وهناك في كل أركان طيبة.

ومازال الشعب ينظر إلى تحتمس هذا الفرعون بأنه ما زال صغير السن. وهل يستطيع السيطرة على حكم مصر والقضاء على الفتن والأخطار التي تحيط بها والتمرد السائد؟؟ والناس عقولها كطيور محلقة في جوف السماء مليئة بالخوف والزعر. فمصر صارت مطمعًا لكثيرٍ من الغزاة. الكل ينظر إلى تلك الجميلة التي يزينها النهر الخالد من أقصاها إلى أدناها، ويضيف عليها حلة خضراء تزيدها بهاءً وجمالًا. والكل يريد اختطاف تلك الجميلة، والشعب ينظر بحيرة وقلق إلى الفرعون الشاب. ويتسألون ماذا سيفعل الفرعون؟ فتطير إليه الأخبار مسرعة، وتنقل له العيون ما تخبئه عقول الشعب، وما يدور بداخل العقول من خوف وقلق ورعب، وأن هناك أيدي خفية تدبر المؤامرات، وتريد العبث بها، والتشكيك في قوة الفرعون الشاب.

فيدخل الفرعون قاعة الحكم مناديًا على الحارس، فيدخل مهرولًا. ويخبره: أن يحضر لي القائد فورًا. أريده حالًا بين يدي. فخرج الحارس مهرولًا إلى القائد "كامُس"، وأخبره بأن الفرعون يريده حالًا بين يديه ماثلًا. فيسأله: ماذا حدث؟ أهناك شيء صار؟!

الحارس: لا أدري يا سيدي، ولكن الفرعون غاضبٌ جدًا.

فحضر الحارس، وأخبره: إن القائد "كامُس" بالخارج يطلب الأذن بالدخول، فيأذن له بالدخول. فيدخل القائد مقدمًا التحية للفرعون،

فيجلسه، ويخبره: إن ما يحدث في البلاد من فوضى وزعزعة أمنية لا بد من القضاء عليها، ومعرفة الخونة الذين يخرون في عظم الدولة كالسوس. ويريدون تدمير أركانها، وتقويضها. وأنك لابد من القضاء عليهم تمامًا. وأن تضرب بأيد من حديدٍ، لا ترحم أحد. ويكونوا عبرة للآخرين؛ حتى لا يفكر مجرد تفكيرٍ أن يطمع في بلاد الفراعنة. ويدمر أرث الأجداد، وأن هناك متمردين داخل طيبة، لا بد من القضاء عليهم، وإحضارهم إليَّ في أسرع وقت.

وأن تجهز الجنود، وتختار الأقوياء منهم،على أن يكونوا في تدريب دائم، واستعداد؛ لصد أي خطر يحاول الاقتراب من دولتنا، وأن تذيع في الناس أن أي شخص يحاول زعزعة الدولة والتخريب، وإثارة الفتن سواء بالقول أو الفعل سيكون جزاؤه الموت.

وإن الأحداث في فلسطين والنوبة وبلاد فينيقيا غير مستقرة، لا بد من وضع حلول لها، ولكن الآن نبدأ في القضاء على الفتن الداخلية أولًا، ثم نقضي على الفتن الخارجية بعد ذلك، والتنفيذ يكون من الآن.

فأمر "كامُس" جنوده وحراسه وعيونه أن تنقل له كل الأخبار، وتعرف الغرباء الذين يدخلون البلاد، وتتبعهم ونقل كل شيءٍ عنهم ؛حتى حديثهم، إن أمكن ذلك.

فستطاع الجنود والعيون الراصدة أن ترصد عدد من الغرباء المندسين حول الشعب يثيرون الفتن، وينشرون الزعر بينهم فاستطاع الجنود بالقبض عليهم جميعًا، وتم القبض على المدبر لكل هذا ثم إحضاره إلى قصر الحاكم تحتمس الثالث، وجميع الخائنين. وأمر "كامُس" أن غدًا يجهز له حشدًا عارمًا من الناس أمام القصر. فنظر الجميع إلى بعضهم البعض. وفي أنفسهم يهمسون: ماذا يريد بالحشد؟ وهو يعلم ما يخطر ببالهم!! ونفذ الأمر كما طلب وحضر الجميع. والذهول يملأ عيونهم ويتساءلون، لِمَ جمعنا الحاكم اليوم؟! فهناك من يقول: ربما سيغدق علينا العطايا والهدايا، وآخر" وربما هناك أمر جلل.

ولحظات وخرج الفرعون وسط جنده، فصمت الأنفس، وخرست الألسنة، وفتحت العيون والصمت خيم على الجميع. كأن فوق رؤوسهم الطير، ثم أشار إلى "كامُس" فحضر بضع أشخاص وروسهم مغطاه، والناس يسألون من هؤلاء؟ والتف الجنود حول الحشد كالسياج حول الحديقة، وأمسك الفرعون أحدهم، وقال: إن من يريد العبث بدولتي التي أنا حاكم عليها، ويستهان بملكي ليس له مكان عليها؛ بل مكانه تحت ترابها، وأن هؤلاء الشرذمة من الخونة المندسين بين الشعب يحاولون إثارة الفتن والقلاقل والزعر مما يضعف من قوتنا. واقترب من ذي الوجه المخفي، واقترب من "كامُس" وفي لمحة من البصر سحب سيف "كامُس" وضرب به

عنقه، فطارت رأسه، وسقطت وسط الناس، ففتحت العيون من هول المفاجأة والتصرف، وبلغت القلوب الحناجر، ثم أكمل الفرعون كلامه: إن هذا هو جزاء من يريد العبث معي ومع دولتي. وأمر "كامُس" أن يقطع رؤوس الباقين، فنفذ "كامُس" أمر الفرعون. فترك الأمر خوف في قلوب الناس، وقوة من فعل الفرعون، وهدأت الأوضاع الداخلية، وعاد الأمن والأمان بقوة الفرعون الصغير.

وانتهت المحاكمة وأمر الفرعون "كامُس" بالتوجه للقضاء على المتمردين في الجنوب، والقضاء على الفتن المحيطة بنا. فنفذ "كامُس" أمر الفرعون، فأرسل الحملات العسكرية إلى الجنوب، وأخذت تلك الحملات على عاتقها إعادة الأمن والسيطرة على القلق والشغب والقضاء على الثورات والفتن، وخاضت الحملات معاركًا متفرقة مع المتمردين، فقضت عليهم وقتلت زعمائهم، وأعاد الجنوب أمنًا مستقرًا. فأرسل الفرعون دعمًا لتلك الحملات؛ حتى بلغ عدد الحملات ست عشرة حملة عسكرية قضت على المتمردين، وفرضت السيطرة على بلاد النوبة.

فأضاء نجم تحتمس الثالث، ودوى اسمه في أذان أعدائه، واستطاع من تكوين دولة مترامية الأطراف، وفرض سيطرته على بلاد فينيقيا. فأرسل الحملات؛ لتدعيم حكمه هناك فقامت الحملات

بفرض السيطرة التامة، والقضاء على الأخطار التي تهدد أمن البلاد.

فستطاع تحتمس الثالث تكوين أكبر إمبراطورية مصرية عرفها التاريخ، وعرف تحتمس أن القوة العسكرية لا بد منها في أي دولة من الدول، فما يجعل لك مكانة بين الدول؛ هي قوتك العسكرية تصيب أعداءك بالرهبة والخوف منك.

فأرسل إلى قائده "كامُس"، وأخبره: إنه يريد تدريبًا مستمرًا للجنود، وتزويد الجيش بأحدث الأسلحة، فاحضروا العجلات الحربية، وتدرب الجنود عليها تدريبًا كاملًا، كما أدخل سلاحًا لم يكن معهودًا في ذلك الوقت هو سلاح "النبال". سلاح لم يعرف قبل عهد تحتمس الثالث. وأخذ بتدريب الجنود عليه تدريبًا عمليًا. وكأنهم في ساحة معركة. فاكتسب جنوده المهارة الفائقة في استخدام هذا السلاح نظرًا لتدريبات المستمرة، وزود به الحملات العسكرية التي بدأ يرسلها إلى المناطق المجاورة، فحقق به انتصارًا كبيرًا. ثم أمر بصنع الدروع لجنوده؛ لتقيهم ضربات الأعداء. فكون جيشًا قويًّا، لا يضاهيه جيشًا في ذلك الوقت.

وبجانب عبقريته العسكرية، وقوته في فنون القتال، وإدارة شئون البلاد، تجده -أيضًا- الزوج المحب لزوجاته، ولكن أقربهم إلى قلبه هي "ميريت رع" زوجته الملكية، والذى أفاض قلبه بها عشقًا

وولعًا كما أحبته هي أيضًا حبًا جمًا. فبعد عودته من حملاته العسكرية، وإشرافه على أمور جيشه، وتدريب جنوده اتجه مسرعًا إلة قصره. فأخبرت أحد الجواري الملكة: إن الفرعون العظيم قد أشرف على دخول القصر، فترجلت مهرولة إلى لقائه، وهي ترتدي ملابسها الفرعونية الجميلة. ملابس الملكة التي صنعت من الحرير المستورد، والمطرزة بالذهب والفضة. فبدت في أبهى جمالها فعندما شاهدتها الفرعون أشار إلى جنوده، وقواده بالانصراف جميعًا. واقترب من زوجته الجميلة مداعبها كيف حال ملكتي الجميلة؟ فتقاطر الخجل من خديها، وتوردت قائلةً: ملكي والفرعون العظيم، لقد كاد قلبي يقتلع من الخوف عليك، وأبى النوم أن يقترب من عيوني، وأنت في حملاتك العسكرية. أن الخوف يصاحبني دائمًا. والقلق يرفرف فوق رأسي خوفًا عليك. لماذا لا تأمر الجنود والقادة بالخروج، وتتابع أنت الأمور من هنا، فينظر إليها: زوجتي الجميلة، إنني محاربٌ قبل أن أكون ملكًا. فقد جعلني أبي في الجيش منذ كنت صغيرًا؛ لأتقن فنون القتال والحرب، وأنني عندما أكون وسط جنودي أشعرهم بالحماسة في القتال، وأكون الدافع لهم نحو الانتصار. وأرى عن كثب ما ينقص جيشي، فأزوده، وما عند الآخرين؛ فأضيفه. فتقول له: كل هذا عظيم، ولكن قلبي كيف حاله إذا أصابك مكروه. فيضحك قائلًا: لا تخافي، فجبك درعي

الذي يصد عني ضربات الأعداء، ورعاية الآلهة تحرسنا ملكتي الجميلة، لا تخافي أبدًا، والآن هل لنا أن نستريح من السفر، فالرحلة كانت طويلة وشاقة.

وتغرب شمس ذلك اليوم بما حققه الفرعون العظيم من انتصارات على أعدائه، وبلغت شهرته العنان، وفي الصباح صعد الخادم الفرعون "كارع"، وطلب الأذن؛ لمقابلة الفرعون، فأخبره: إن القائد "كامُس" يريد مقابلته. فأبلغه: إنه قادمٌ، فذهب "كارع ". وأخبر القائد بقدوم الفرعون العظيم. وماهي إلا لحظات؛ حتى حضر الفرعون العظيم مرتديًا درعه الملكي، فقدم القائد له التحية، وحضر -أيضًا- الوزير "رخمي رع" مرتديًا زيه الفرعوني وقدم التحية إلى الفرعون، وجلس الفرعون، وأمرهم بالجلوس. فقال "كامُس": فرعون مصر وقائدها، لقد وردت إلينا أخبار من الجنوب بهدوء الأوضاع، وأن القائد "ست رع" قد حقق انتصارات باهرة في عهدكم، لم تحدث من قبل. وأن السلاح الذي تم تزويد الجيش به قد أحدث فارقًا كبيرًا في معاركنا في الجنوب. فقد كان سببًا في الانتصار المدوي. ولم يكمل القائد حديثه، حتى دخل الحارس مقدمًا التحية للفرعون قائلًا: فرعون مصر العظيم، إن "ست رع" يستأذن؛ للدخول. فأمره: أن يدخله فورًا، فرحب به، واجلسه، وقال له "كامُس": كنت أقص على فرعون مصر أخبار الجنوب، فأكمل فقال "ست رع" بفضل تعليمات الفرعون العظيم والسلاح

الذي زودنا به، والتدريب المستمر للجنود قد حققنا الانتصار على الأعداء في الجنوب. فأسقطنا منهم الكثير، وقتلنا زعمائهم وأسرنا أعدادًا منهم، وظفرنا بالكثير من الغنائم. وقد تركنا هناك حملة من الجنود؛ لتدعيم الأمن في الجنوب. فالجنوب الآن هادئٌ تمامًا سيدي الفرعون. فقد حققنا إنجاز وانتصارا عظيمًا، والشعب في الجنوب شعر بالأمن والاطمئنان بعد حالات الاضمحلال والنهب والسرقات التي كان يفعلها المتمردين. فبعد القضاء عليهم شعر الشعب بالاطمئنان وهتفوا بمجد الفرعون العظيم تحتمس الثالث. فأمر تحتمس "تجانيستي" كاتبه: أن يسجل كل الأحداث التي تمت في الجنوب، وأن يؤرخها ويسجلها، ولا ينسى شيئًا، وأن يسجل أدق التفاصيل.

الوزير: فرعون مصر العظيم، إنى لا أريد أن أعكر صفوك بالانتصار على المتمردين في الجنوب، ولكن هناك شيئًا.. قد حدث.

الفرعون ماذا حدث؟

الوزير: لقد وردت لنا أخبار، فجئتُ لأعلمك بها. فوجدت القائد "كامُس" يحدثك عن الانتصارات الجنوبية.

الفرعون: ما هناك؟

الوزير: لقد هبت نار الفتن في الشمال سيدي الفرعون، وقد تجمع الأعداء، ويريدون زعزعة الأمن، وتشويه صورة الدولة التي أقمتها وانتشلتها من نار الفتن.

الفرعون إلى قواده جهزوا الجنود، سأقود تلك الحملات بنفسي، والآن "كامُس" انطلق وجهز الجيوش، واجعلها على أهبه الاستعداد، وسوف أعلمك بميعاد التحرك. فانطلق "كامُس" و"ست رع" إلى مقر الجنود، وأعدوا الأشياء كلها، وجهزوا الجيوش وأمر الجميع بالانصراف. فانصرف الجميع، وجلس هو وزوجته فنظرت إليه وهي تقول له: دائمًا تحب الخطر ملكي العظيم. فينظر إليها قائلًا: رجل الجيش الخطر جزء من حياته، وأنا أعلم أن قلبك يرتجف خوفًا عليّ، ولكن لا تقلقي. فلا بد من تأديب الطغاة، كما فعل أسلافي من قبل، فشدت على يده، وقالت له: في رعاية الآلهة مولاي وفرعوني العظيم.

وبعد أن خرج الفرعون جلست زوجته حزينة وحيدة، فدخلت إحدى خادمتها. وكانت مقربة إليها تدعي "إيزيس" قائلةً: سيدتي العظيمة، هل تسمحين لي فتنظر إليها زوجة الملكية للفرعون العظيم تحتمس الثالث، ويبدو على وجهها طيور الحزن، وفي عيونها دمعة حزينة قائلةً: ما هناك إيزيس؟

إيزيس: ملكتي، إن فرعون مصر ليس ملكًا عاديًا، وليس ملكًا لنفسه، بل لشعبه ودولته، فهو يتحمل كل الصعاب من أجل تحقيق الاستقرار، وتأمين دولته من خطر الأعداء المتربصين به وبملكه سيدتي.

الزوجة: ولكن إيزيس، إنني أخاف عليه أن يصيبه مكروهًا في حروبه التي لن تنته أبدًا.

إيزيس: تنظر إلى سيدتها، وقلبها يكاد ينفطر من داخلها قائلة: مولاتي، تلك إرادة آمون العظيم، وأن ملكنا العظيم سيعود مظفراً بالانتصار، ولا تجعلي الحزن والقلق كنسور الفلا التي تنهش الجثث تحلق برأس مولاتي العظيمة، سيدتي يبدو عليك التعب، هيَّا بنا؛ لكي تستريحي قليلًا من الوقت، وغدًا نذهب؛ لزيادة الكاهن الأعظم، وزيارة آمون لتقديم القرابين والطقوس الدينية من أجل أن يعود الفرعون العظيم منتصراً سالمًا. فتنطلق زوجة الفرعون إلى حجرتها الملكية وتتبعها خادمتها "إيزيس" وتنام على سريرها. وتخرج "إيزيس" ولكن النوم يفارق عيون الملكة فتنادي الملكة إيزيس.. إيزيس، فتعود إليها مسرعة مولاتي، ماهناك؟ هل هناك خطب ما؟

الملكة: لا ولكن النوم يجافي عيوني، اجلسي ولا تتركيني؛ حتى تتأكدي أن النوم غلب جفون عيوني. فجلست "إيزيس" ولكن ليست لفترة طويلة؛ حتى غلب النعاس الملكة. فتسللت "إيزيس" إلى خارج الغرفة، وجلست بالخارج، وأشرق الصباح على مصر الجميلة تداعب أشعة الشمس مياه النيل الخالد، فطرقت "إيزيس" باب الملكة طرقات خفيفة؛ كي لا تسبب لها إزعاج، فسمعت الملكة تنادي قائلة:ك ادخلي "إيزيس"

"إيزيس": مقدمة التحية لها قائلة: كيف حال مولاتي اليوم؟
الملكة: لا أدري كيف حالي، ولكني ما زالت قلقة على الفرعون، وأشعر بوعكة صحية.
"إيزيس": سأحضر طبيب الفرعون في الحال.
تنزل "إيزيس" مهرولة، وتجري في أروقة القصر، فتقابل أحد حراس الملك، فيسألها: ما بك؟ يبدو عليك القلق.
"إيزيس": إن الملكة تشعر بألم، ونريد طبيب الفرعون حالًا.

فانطلق الحارس؛ لإحضار الطبيب، وجاء الطبيب وقام بتوقيع الكشف على الملكة والعيون حائرة قلقة. ثم أخبرهم الطبيب: إن الملكة ستنجب وريث عرش الفرعون العظيم تحتمس الثالث، فيعم السرور في القصر، ودخلت "إيزيس" قائلةً: مولاتي، لقد كرمتك آلهة مصر؛ بأنك ستلدين وريث عرش الفرعون العظيم. وهذا سيكون له وقع مفرح على نفس الفرعون العظيم؛ لأن سيصبح له وريث لعرشه، وسيحكم دولة أبيه التي ملأت البادية والوادي.
الملكة: بحزن، ولكن أين هو الفرعون "إيزيس"؟
"إيزيس": لا تقلقي، سيعود بالنصر مولاتي.
الملكة: غدًا سنذهب؛ للقاء الكاهن الأعظم.
"إيزيس": أمر مولاتي.

وفي الصباح تأمر زوجة الملكة بإعداد التجهيزات؛ للانطلاق إلى معبد آمون، وتم تجهيز موكبها الفرعوني، يحملها عديدٌ من العبيد الأقوياء على الأكتاف،، وتزينت بزينتها الملكية، وملابسها الفرعونية، وانطلق العبيد يحملون الملكة وخادمتها إلى معبد آمون ودخل العبيد، ثم وضعوا الهودج الملكي، ونزلت الملكة. فاستقبلها الكاهن الأعظم مقدمة التحية، وطلبت منه: أن يقوم بالصلوات والطقوس الدينية؛ من أجل حماية الملك فلبى الكاهن طلبه،ا وقدمت الملكة القرابين لآمون والهدايا، وانطلقت عائدة إلى قصرها والعيون تلاحقها من عامة الشعب مبهرين بجمال زوجة الملك. وأعلن الخبر في المدينة أن الفرعون العظيم تحتمس الثالث سيلد له وريثًا لعرشه فعم وقع الخبر على الأذن بالفرح والسرور.

ولم تمضِ أيام؛ حتى دخل الخادم مهرولًا قائلة: لقد عاد الفرعون العظيم تحتمس الثالث من حروبه مظفراً بالانتصار، فدخلت "إيزيس" فرحة قائلة: مولاتي، لقد عاد سيدي الفرعون، فوقفت ومشت خطوات ليس بالكثيرة، فوجدته أمامها، وأشارت لخادمتها بالانصراف قدمت التحية له قائلة: مولاي، وفرعون مصر العظيم. فأمسك يدها قائلًا: كيف حال زوجتي الجميلة؟ وتخبره بأنها أصابته وعكة صحية، وأن الطبيب قد أجرى الكشف عليها.

الفرعون: وماذا قال الطبيب؟
الزوجة: لقد أخبرني، إنني سألد لك وريث العرش.
الفرعون: مبتهجًا.. سيكون لهذا العرش وريث من سلاله الفراعنة العظام.
الزوجة: ما الاسم الذي سيختاره الفرعون العظيم؟
الفرعون: "ايموحتب الثاني"، وسوف أعلمه وأجهزه، ليكون الحاكم، ويكون قائدًا ومحاربًا قويًّا، وأعلمه فنون القتال والحروب.
الزوجة: ولكن أخاف عليه، ويجعلني أقلق عليه، وعلى أبيه.
الفرعون: عندما يكون قويًّا لا خوف عليه. ولكن إذا أصبح ضعيفًا نهشته نسور الفلا كما تنهش جثث القتلى، وسيكون الخوف على ذلك العرش. ويحاصركما الخطر من كل جانب، ويصيب الدولة الاضمحلال والسقوط. وهذا ما لا أريده أن يحدث.
يدخل الحارس مناديًا: إن القائد يطلب الأذن بالدخول، فيسمح له. فيدخل القائد مقدمة التحية إلى الفرعون والتهاني بالانتصار الذي حققه الفرعون. ويقدم له التهاني بوريث عرشه القادم. فيأمر الفرعون أن تتزين المدينة، وتقام الاحتفالات بهذه الأخبار. وأن تقدم العطايا للشعب، وأن يطلب من الكاهن الأعظم بإقامة الطقوس الدينية بعيد النصر العظيم، فتعم الفرحة على أنحاء مصر من واديها ودلتاها احتفالًا بانتصار الفرعون تحتمس الثالث، ويعيش الشعب في فرح كبير.

"كامُس": أمر فرعون مصر العظيم.
الفرعون: هناك أمرٌ لا بد من تنفيذه، وفي غاية السرية التامة. وأن لا يعلمه أحدٌ.
"كامُس": أمر الفرعون العظيم.
الفرعون: لا بد من الانتقام من حتشبسوت.
"كامُس": كيف ننتقم منها؟! وقد لحقت بالأسلاف والفراعنة العظام.

الفرعون: إذا كانت لحقت بالأسلاف روحًا فجسدها ومعالمها باقية في المعبد هي و"سمنوت".
"كامُس": ماذا يقصد فرعون مصر؟ وكيف يكون الانتقام منها؟
الفرعون: عندما يحل ظلام الغد، وتدخل الظلمة الشديدة فليس بالغد قمر. فالليل سيكون شديدة الظلمة تذهب إلى معبد حتشبسوت، وتقوم بإزالة ما تم نقشه على جدران المعبد.
"كامُس": لماذا نفعل كل ذلك؟
الفرعون: لأنها ليس لها حق. في ذلك العرش، وكان الحق لي. وقد فرضت سيطرتها على العرش عندما كنت صغيرًا. فأنا لا أريد أن يكون لها أثر. أريد الانتقام منها.
"كامُس": أمر الفرعون العظيم.

وفي ظلمة الليل، والقمر لم يظهر تلك الليلة الظلام شديد، والبرد قارس. تسلل "كامُس" موشحًا بالسواد، ودخل معبد الملكة. وقام بطمس الصور والكتابات والمقبرة أيضًا. لم تسلم من الأذى، وتم طمس معالم عديدة بالمعبد، ونفذ ما طلب منه. وفي الصباح وكأن لم يحدث شيء، وبدأ الناس تهمس أن معبد الملكة حتشبسوت قد عبث به البعض، فيصل الخبر إلى الفرعون. فينطلق بجنده؛ ليرى ماذا حدث؟ فشاهد التخريب الذي أصاب المعبد فدخل المعبد فوجد التخريب قد أصاب كل شيء؛ حتي مقبرة الملكة ومهندسها أيضًا أصابها التخريب. والسؤال الحائر والذي ينتقل من لسان إلى آخر من فعل ذلك!؟ والعيون كلها ناظرة، وكأنها تهمس وتقول: إنه الفرعون من فعل ذلك. ولكن من يستطيع قول ذلك؟ فقال أحد الناس: إنه من فعل ذلك الفرعون انتقامًا لما أصابه في الصغر من الملكة. فينظر إليه من بجانبه، اصمت يا رجل وإلا رأسك ستطير من فوق كتفيك، وأنت رجل طاعن في السن.

الفرعون بصوت عالٍ في الشعب: من فعل ذلك؟ إذا أحد يعرف من فعل ذلك فليخبرني، وسوف ينال عقابه الأثيم، فلا مجيب بين الحشد والناس كأن فوق رؤوسهم الطير.

"كامُس": مولاي ربما الناهبون فقد انتشر في الآونة الأخيرة بعض النهابين، وقد قبضنا منذ فترات على نهابين للمقابر، وقد تم وضعهم في السجن ربما يكون أحد النهابين ،مولاي الفرعون.

الفرعون: "كامُس" لا بد من إحضار من فعل ذلك؟

"كامُس": أمر فرعون مصر العظيم.

وأشار الفرعون بالانطلاق، فأنطلق الجميع عائدين إلى القصر، وانصرف الحشد وظلت السؤال تائه بين الناس، لا إجابة مقنعة عند أحد. وكأن الجميع يدرك ذلك، ولكن لا أحد يستطيع التفوة ببت شفة.

وما زالت هناك عيون تنقل الأخبار إلى أعداء الفرعون، فقد نقلت العيون إلى أمير "قادش" أخبار الفرعون، وما حققه من انتصارات في الجنوب، وما حققه -أيضًا- في الشمال. فقد خاب تفكير أمير "قادش" واستهانته بهذا الفرعون، فيما كان يخطط له من السيطرة على مصر، والنيل العظيم وعلم أمير "قادش" بأن الجيش المصري في عهد تحتمس الثالث أصبح قوة لا يستهان بها. فجمع قادته ومستشاريه وعرض عليهم الأمر كما أخبرته العيون التي تنقل الأخبار.

فقال "سيكانج": -أحد القادة - إننا كما ذكرت لنا لا نستطيع في الدخول في حرب مباشرة مع الجيش المصري ومع الفرعون المصري، ولكن لا بد من الاستعداد التام له، وعقد تحالفات مع المناطق المجاورة، وتجميع أكبر عدد من الجيوش والجنود، وعقد تدريبات حربية جديدة؛ لمواجهة الفرعون المصري، ولكن ذلك

سيأخذ وقتًا طويلًا منا. فسوف نتبع أسلوب القتال المتفرق في مناطق متفرقة؛ لإنهاك قوة الجيش المصري، وإصابته بأكبر خسائر ممكنة.

أمير "قادش": هذا هو الرأي أيها القادة، سوف نأخذ برأي القائد "سيكانج"، ولكن أيها القائد: كيف ستكون المعارك المتفرقة؟ وما خطتك لذلك؟

القائد: أرسل لأتباعنا في الشمال في المناطق الخاضعة؛ لحكم الفرعون المصري أن يثيروا الشغب ونشوب قتال معهم، ومع جنود الفرعون، وسنرسل لهم التعزيزات وفي كل منطقة خاضعة لحكم الفرعون. ندعو لتباعنا باتباع ذلك الأسلوب فينقسم الجيش المصري إلى فرق؛ لمقاومة الثورات. فيكون لدينا الفرصة بالانقضاض عليهم، والقضاء عليهم تمامًا.

أمير "قادش" يجالس مفكرًا قليلًا في كلام القائد متمعن الفكر، يدير كل ما قيل في ذهنه؛ ليصل إلى القرار.

قائلًا: ولكن الفرعون المصري، هل ستدخل عليه تلك الخطة؟

القائد: سيدي الأمير، حتى ولو علم أن ذلك خطة. فسوف يرسل حملات؛ لإخمادها وسوف نقاتلها، ونكبدهم خسائر فادحة، وهذا هو الغرض من الخطة كلها.

الأمير: في قصره وسط حاشيته والغرور يكبح أنيابه، ويسيطر عليه، ويضرب بقبضة يده على كرسي عرشه قائلًا: نَعْمَ الرأي، أيها القائد ابدأ في التنفيذ.

انطلق القائد في تنفيذه المهمة، وزعزعة الإمن وإثارة الفتن والتوتر في الشمال، وبدأت حركات من الشغب، والتمرد تشعل لهيبها، وبدأت السرقات والنهب والطعن في الخفاء، والدخول في قتال متفرق مع الجنو،د وسقوط قتلى، وبدأ الرعب يكشر عن أنيابه، وبدأت زمام الأمور تنسحب ببطء من سيطرة الجنود المصريين، وقامت ثورات تَزْعمها أعوان أمير "قادش"، فنطلق أحد الجنود إلى مصر أرسله قائده برسالة إلى الفرعون ليعلمه، بِما يدور في الشمال، وإرسال تعزيزات من الجنود والعتاد الحربية؛ للسيطرة على الأوضاع.

وانطلق الجندي بعجلته الحربية عائدًا من الشمال يحمل رسالة القائد إلى فرعون مصر؛ حتى وصل إلى قصر الفرعون، فانطلق إلى الداخل. ويظهر عليه وعثاء السفر، فطلب مقابلة الفرعون، فدخل الحارس ،فأخبر الفرعون: إن رسولًا قادمٌ من الشمال، يحمل رسالة إلى الفرعون. فأذن له الفرعون بالدخول، فقدم الرسول بأداء التحية لفرعون مصر وقدم له الرسالة، ففتحها الفرعون، وبدا على وجهه علامات من القلق والغضب، واحمرت عيناه وقبض بشدة

على الرسالة، فنظر إليه وزيره "رخمي رع" قائلًا: ماذا تحمل الرسالة التي أظهرت الغضب على وجه الفرعون العظيم.

الفرعون: إن الرسالة تحمل أخبار سيئة، وهناك ثورات في الشمال، وشغب وتوتر فقد جمع أمير "قادش" جنوده وبدأ في إثارة الفتن والقلق. وأن جنودنا يطلبون العون والمدد، ونادي الفرعون حارسه فدخل الحارس مسرعًا مقدمًا التحية لفرعون مصر، فأخبره: أن يحضر القائد "كامُس" إليه في الحال. فانطلق الحارس، ومعه أحد الجنود على عجلة حربية يبحثون عن القائد "كامُس" فأخبرهم أحد الجنود: بأن القائد في ساحة التدريب فانطلقا إلى ساحة التدريب، وقدما له التحية، وأبلغاه: بأن الفرعون يريده في الحال. فانطلق القائد، وتبعه الحارس؛ حتى وصل إلى القصر، فدخل القائد "كامُس" مقدمة التحية للفرعون، فأشار إاليه بالجلوس فجلس الثلاثة القائد والفرعون والوزير؛ ليناقشوا هذا الأمر الجلل.

قال الفرعون: إن الأعداء يتربصون بنا، والشمال غير مستقر وهناك تمرد، وقتال وجنودنا صامدون قدر المستطاع، وأن أمير "قادش" قد عقد تحالفًا شريرًا مع المناطق المجاورة له، ويقوم بجمع أكبر عدد من الجيوش تحت قيادته. فلا بد من تدعيم حدودنا الشرقية تدعيمًا كاملًا.

القائد: أمر الفرعون مصر، حدودنا مؤمنة تأمينًا كاملًا، وسأزيد من ووضع جنود أكثر على الحدود.

الفرعون: ولكن هناك قلقًا وتوترًا. لا بد من القضاء عليه، فارسل حملة عسكرية قوية للسيطرة على الوضع هناك، وإعادة الأمن؛ لأن تلك الشرر الصغي،ر ليس هو هدف أمير "قادش".

الوزير: إذن سيدي الفرعون، أمير "قادش" لم يكف عن محاربتنا أبدًا، وما الحل في ذلك؟ لا بد من وضع خطه للقضاء على هذا التوتر بالكامل.

الفرعون: فعلًا.. لا بد من القضاء عليه تمامًا، ولكن الآن دعونا نقضي على التوتر القائم حاليًا.

القائد: وماذا سيستفيد أمير "قادش" من تلك الثورات والقلق والحروب المتفرقة؟

الفرعون ناظر إلى "كامُس" واقفا ومتحركًا، فوقف "كامُس" والوزير أيضًا، وتحرك قائلًا: إن ما يفعله أمير "قادش" من معاركه المتفرقة، ما هي إلا خطة لإنهاك قوانا العسكرية. فلا بد أن نجعل الجنود على استعداد تام للقتال والتدريب المستمر. فاستعد لإرسال الحملة العسكرية إلى الشمال. وعندما تقوم بإرسال الحملة بعدها بيوم ارسل حملة أخرى على أساس أن تصل الأولى قبل الثانية بيوم. وعندما يصلوا إلى هناك. ويلتقوا بالمتمردين تكون الحملة الثانية

وصلت، فيشتبكوا معهم. فيعلم العدو أن هناك امتدادًا من الجيش كل يوم ستصل إليهم. وبذلك نزرع الرعب في قلوب جنودهم.

الوزير: نَعْم الخطة والرأي، فرعون مصر العظيم.

وانطلق الثلاثة الفرعون وزيره والقائد إلى ساحة التدريب، واصطحب -أيضًا- كاتبه معه. فشاهد الجنود والتدريبات وقدم الجنود التحية للفرعون، ونادى في جنوده: إن الأعداء يتربصون بنا. فلا بد من القضاء عليهم، فيريدون نهب خيراتنا، وتصاب البلاد بالاضمحلال، ونعاني كما عانى الأسلاف من الهكسوس؛ حتى حررهم الفرعون العظيم "أحمس" وسوف تنطلق منكم حملة إلى الشمال؛ للقضاء على هؤلاء المتمردين، وسيخبركم "كامُس" بالخطة.

"كامُس": سيدي فرعون مصر العظيم، سيقود الحملة الأولى "ست رع" فتقدم "ست رع" مقدم التحية للفرعون، وتم إطلاعه على الخطة المتفق عليها. وتجهزت الحملة بالعتاد، وانطلق "ست" بحملته الأولي، وفي صباح اليوم التالي حضر القائد" كامُس" واختار "حوتب" أحد قواد الجيش، وأمره أن ينطلق بالحملة الثانية. وأنه لا بد أن يصل بعد الحملة بيوم. وأن "ست رع" على علم بهذا. وأن تدخل في الحرب الدائرة هناك منذ وصولك؛ حتى يعلم العدو أن الامداد لا ينقطع أبدًا، وتم تنفيذ الخطة، وانطلقت الحملتان متجهتان إلى الشمال.

ووصلت الحملة الأولى التي أرسلها الفرعون بقيادة "ست رع"، ووجد عديدًا من التوتر، وخاض المعركة مع القائد المصري هناك ضد المتمردين، واستمر القتال وهرب المتمردين باتجاه الجبال. وفي الصباح انطلق ست بحملته، والتقي بالمتمردين مرة أخرى، ودارت معركة شرسة فوصل "حوتب" بحملته، فتفاجئ المتمردون، وانضم "حوتب" "لست رع" ودار القتال فهرب المتمردون، وسقط عديدٌ منهم قتلى، وتم القضاء عليهم تمامًا. وتم مطاردتهم حتى خارج الحدود التي يحكمها المصريون. ووقد سقط قائد المتمردين "كاستينج" فقد تم اقتلاع رأسه. والعجلات الحربية المصرية تخترق صفوف جنود المتمردين، والدماء قد لطخت الوجوه، وتعالت الصيحات، والرؤوس تطايرت من فوق الاكتاف فقد انهزم المتمردون شر هزيمة.

ووصل الخبر إلى أمير "قادش": بأن قائدة "كستنيج" قد سقط قتيلًا في المعركة على يد المصريين، فدخل الجندي يجر ذيول الهزيمة والدماء تلطخ وجهه قائلًا لقد أصابتنا الاستهانة بالجيش المصري وبقوته.

الأمير: ماذا حدث؟

الجندي: لقد فاجئنا القائد المصري بخطط حربية لم نعهدها، واستخدم معنا سلاحًا لم نعهده.

الأمير: سلاح جديد!! ما هو؟

الجندي: وقد أصيب بسهم في كتفه..

قائلًا: هذا هو السلاح مولاي، وأشار إلى السهم الذي اخترق كتفه، لقد اطلقوه علينا من مسافات بعيدة، فسقط عديدٌ من قتلى سيدي الأمير، وقد اخترقوا صفوفنا وما شهدنا إلا الرؤوس تتطاير، وجنودنا يفرون، وكأنهم فرائس تطاردهم أسد الفلا. وقد سقط القائد قتيلًا بعد مواجهة مع القائد المصري الذي قام بقتله، وقطع رأسه بسيفه.

الأمير: يرتمي على كرسيه، والحزن يسيطر عليه مشيرًا إلى الجندي بالانصراف.

وفد فرض الجيش المصري سيطرته الكاملة على المنطقة، واستعاد فرض الأمن والاستقرار إلى الشمال مرة أخرى، واحتفل الجنود بالانتصار الذي حققوه.

القائد "كامُس": يذهب إلى الفرعون قائلًا: فرعون مصر العظيم، لقد حققت الحملات التي أرسلتها إليَّ انتصارًا عظيمًا سيدي الفرعون.

الفرعون: انتصار مؤقت.. تلك المعركة ما هي إلا بدايات لمعارك أخرى. ولا بد أن نحقق انتصار في كل المعارك القادمة. ارسل رسولًا إلى الحملات في الشمال بترك بعض الجنود. وأن يعود قادة الحملات بجنودهم، وترك تعزيزات لقائد الجنود هناك.

"كامُس": أمر الفرعون العظيم.
وبعد أن انطلق "كامُس" في تنفيذ أمر الفرعون. سأل الوزير فرعون مصر قائلًا: سيدي الفرعون هل تسمح لي بسؤال؟
الفرعون مشير إليه مبدي رغبته في سماع السؤال فقال الوزير:
إني أراك غير سعيد بالانتصار الذي حققته جيوش الفرعون العظيم.
الفرعون: إن أمير "قادش" ثعبان. ولابد لقتل الثعبان من قطع رأسه، لا قطع ذيله وكل ما فعلناه، ما هو إلا ضرب في ذيل الثعبان. أنا أريد قطع رأسه. وأن أمير "قادش" يحشد تحالفًا ضخمًا من أجل الحرب، ويستعد للمعركة الفاصلة بيننا وبينه.

الوزير: إذن هناك خطر يحاط بنا؟
الفرعون: فعلًا.. هناك خطرٌ، ولا بد من الاستعداد التام لهذا الخطر الكبير.
ويجلس الفرعون مفكرًا في هذا الخطر، ويخرج الوزير تاركًا الفرعون، ويمكث الفرعون، وأفكار الحرب تخيم على رأسه، وأنه لا بد من سبيل لذلك، ولا بد من الانتصار في تلك المعركة، فتدخل زوجة الفرعون سائلةً: كيف حال فرعون مصر العظيم؟
الفرعون: إن الأعداء يحشدون في الجيوش، ويستعدون، لخوض حرب ضدنا.

الزوجة: هذا ما يقلقك كثيرا؟ فقد حققت انتصارات وخضت معارك مثل ذلك.

الفرعون: نعم،، ولكن هذا هم كبير، وإن لم نتصدَ له، ونقهر هؤلاء الأعداء يكونون واقفين هنا، ومسيطرين على كل شيء، ويحولون الشعب إلى مجرد عبيد لديهم. وهذا ما لا أريده أن يحدث.

الزوجة: إنها مشاكل عارمة فرعون مصر العظيم، وما العمل؟

الفرعون: ليس هناك إلا حل واحد.

الزوجة: ما ذلك الحل ؟

الفرعون: إنها الحرب، ولا بديل لذلك.

الزوجة: ظهر على وجهها القلق والتوتر قائلةً: الحرب!!!

الفرعون ينظر إليها مبتسمًا: نعم.. إنها المعركة ولِمَ يبدو عليك القلق.

الزوجة: إن تلك المعركة ليست كباقي المعارك، إنه تحالف قوى شر ضدك.

الفرعون: الحرب هي الحرب صغيرة كانت أو كبيرة، ولكن تلك المعركة لا بد لها من خطة وخدعة في الوقت نفسه، وهذا ما يشغل تفكيري ل ابد من تغير خطط القتال.

الزوجة: لا تقلق سوف تحقق النصر المحقق على أعدائك.

الفرعون متسائل: كيف حال وريث عرشنا القادم؟

الزوجة: إنه بخير.

وينطلق الزوجان إلى الراحة؛ لأن الوقت يداهمهما، ولكن القلق ما زال مسيطراً على الفرعون، ويبحث في ذهنه عن خطة لتلك المعركة، وتشرق شمس الصباح، ويأتي القائد "كامُس" لرؤية الفرعون، وينطلق إلى ساحة تدريب الجنود. وقد حضر "ست رع" بحملته وحضر "حوتب" -أيضًا- فاستقبلهم الفرعون، وقال القائد "ست رع": سيدي الفرعون، إن القائد أرسل إليك برسالة وها هي.

الفرعون: يقرأ البردية التي أرسلها إليه القائد يخبره فيها: بأن الأعداء قد استعدوا وحشدوا الجيوش، وقد تم التحالف مع عدد كبير، وبلغ عدد الجيوش التي تحت قيادة أمير "قادش" ثلاثة وعشرين جيشًا.

لقتالنا ونريد عديدًا من التعزيزات؛ لأن جنودنا هنا لا يستطيعون القتال، والتصدي للعد الكبير من الجنود.

الفرعون يأمر كاتبه، أن يكتب رسالة للقائد هناك، وأن يرسلها له حالًا، ويطمئنه ويخبره :بأن الفرعون قادمٌ بنفسه لخوض تلك المعركة.

"كامُس": فرعون مصر العظيم، أتذهب بنفسك لخوض تلك المعركة؟!

الفرعون: إن تلك المعركة لا بد أن أكون قريبًا منها بنفسي، وسوف تكون أنت معي ويكون "تجانسيتي" أيضًا؛ لكي يسجل كل ما يدور في تلك المعركة من أحداث.

"كامُس": متي الانطلاق، فرعون مصر العظيم ؟
الفرعون: كن على استعداد، وجهز العتاد والجنود، واستمر في التدريبات، واجعل الجنود يرتدون ملابس القتال التي أعدناها؛ لكي تحميهم فذلك سيحقق فارق في المعركة.
وبدأ الجميع في الاستعداد، وتجهيز الجيوش والعجلات الحربية والأسلحة والدروع والخيول وتكثيف التدريبات للجنود. وبدأ الكل يستعد، وفي انتظار لحظة الانطلاق.
وما زال تفكير الملك حائرًا في الخطة والقلق يسيطر عليه، ولكن رابطة جأشه تظهر عليه، ويجعل القلق مختبأ خلفها؛ حتى لا يلاحظ قادة جنده وجنوده التوتر عليه، فيصيبهم الإحباط والملل. وتكون أول بوادر الهزيمة، وما زال الجنود والقادة في ساحات التدريب والحماسة تشغلهم، والتفوق في التدريب المستمر حليف لهم، واستمر التدريب تحت ظلال الشمس الحارة طوال فترات الصيف؛ حتى أشرقت شموس الشتاء، وعصفت رياحه معلنة قدومه بكل قوته، وهنا أعلن الملك التحرك بالعدة والعتاد وطلب من قواده بدأ تحرك الحملة العسكرية، ودقت طبول الحرب وبدأ الانطلاق.

* * *

٤

بدأ الانطلاق، وصار الفرعون في مقدمة جيشه، وتبعه قواده، وكاتبه، ومستشاره كامُس فتحدث معه، وهو كبير قواد جنوده متسائلًا: كيف حال جنودنا؟ إني أراهم كأن القلق والخوف في عيونهم ساكنًا.

"كامُس": فرعون مصر العظيم، إن جندنا كصخور الجبال، وصقور السماء.

الملك: بدأت على وجهه ملامح الابتسام قائلًا: نريد انتصار، لا انكسار "كامُس".

وانطلق بعربته الحربية، وانطلق الجميع في همة وحماسة. يقطعون صحراء مصر القاحلة يعانون من برودة الشتاء، ولكن يتغلبون عليها بالحماسة العزيمة التي تثير بداخلهم نيران القوة، فتعطيهم الدفء، وتنير لهم ظلام الصحراء حتى وصلت الجنود إلى غزة، وهناك استقبله جنوده الآخرون، وقواده في غزة.

وأمر جيشه بالاستراحة في غزة، ولم يمكث بها إلا ليلة واحدة. وفي صباح اليوم التالي أمر جنوده بالتحرك. فتحركت الجيوش؛ حتى وصلت مدينة "يحم". وهناك أمر جنوده بضرب المعسكر، ومكث

فيها بضعة أيام بعد تلك الرحلة الطويلة، ولكن هناك في رأس الفرعون أمورًا أخرى يريد أن يعرف، ماذا يحدث في الجانب الآخر منتظراً عيونه أن تنقل له الأخبار عن تجهيزات الأعداء؛ لكي يضع الخطة المناسبة، لقتالهم لأنه بكافة الطرق والأشكال يريد الانتصار لا الانكسار. ولم تتأخر الرسالة المنتظرة؛ حتي قدمت تخبر الملك بأن العدو جمع شمله، وأعد جنده وبلغ جيوشه ثلاثة وثلاثين جيشًا تحت قيادة ملك "قادش" فلم يخبر الفرعون جنوده بذلك، وغادر من أحضر الرسالة. واختفى في ربوع الصحراء الواسعة، وكأنها أحد حبات رمالها، ولم يلاحظ أحد قدومه أو خروجه.

وعلى الجانب الآخر ملك "قادش" في معسكره في مجده والجيوش والجند حوله يتدبر في الأمر منتظراً هو الآخر الأخبار؛ حتى قدم إليه الخبر بأن فرعون مصر وصل إلى غزة، ويبدأ في الاستعداد للمعرك،ة فأتكأ للخلف مقهقهًا هذا الشاب المغرور، يريد مواجهة جيوشنا جميعًا بجيشه الصغير سوف نسحقه من أول جولة، وضحك من حوله ثم صمت فجأة واقفًا قائلًا: ولكن لا بد له من خطة، إنه ثعلبٌ ماكرٌ. فقال أحد قواده:

الملك العظيم، وسيد الجيوش هناك فكرة لو نفذت انتهت المعركة قبل أن تبدأ.

الملك: ما هي أخبرني بها مسرعًا؟

القائد: قتل فرعون مصر.

الملك جالس ويفكر قائلًا: قتل فرعون مصر، إنها فكرة عبقرية، ولكنها صعبة في الوقت نفسه.

القائد: سيدي الملك، سنحضر أحد جنودنا نلبسه لباس المصريين، وتحت وطأة ظلام الليل يتحرك؛ حتى يخرط بين الجنود دون أن يشعر به أحدٌ ورويدًا رويدًا. يقترب من خيمة فرعون مصر كأنه أحدُ حراسها، وأثناء خروجه أو أثناء نومه يدخل ببطء، ويضربه ضربة واحدة؛ فينتهي أمره، ويصاب جيشه بارتباك وإحباط ويغادر قبل أن تبدأ المعركة، وبدأ تنفيذ الخطة، وارتدى الجندي ملابس المصريين، وببطء دخل بينهم، وأخذ يقترب من خيمة الملك، فشعر الملك بأقدام تثير ببط نحو خيمته، فقام مسرعًا فاتحًا إياها. فإذا بقائده "كامُس" خلف الخيمة قائلًا "كامُس": ما الأمر أهناك شيء ما؟ قال: لا سيدى، ولكن لحظت شخصًا ما يقترب من الخيمة، وينظر خلفه، وأمامه في توتر، ولكنه اختفى، هناك شيء غير مطمئن سيدى الفرعون، ويعود الملك إلى نومه، و"كامُس" يتحرك نحو خيمته، ولكن ما زال القلق يسيطر عليه، وما زال الآخر يراقب الاثنين من كثب، ولكن لا يروه فدخل "كامُس" خيمته، وأخلد الملك للنوم، وأخذ يتحرك ويقترب؛ حتى دخل خيمة الملك، وأخرج سيفه، وهمَّ بضرب الملك؛ فتلقى

"كامُس" الضربة بسيفه، ومن صوت الضربة استيقظ الملك مسرعًا. فوجد "كامُس" يبارز أحد الملثمين، والتف الجنود، وقام "كامُس" بضربه فأصابته الضربة في عنقه فسقط قتيلًا، وكشف عن وجه فإذا به أحد جنود ملك "قادش" تم معرفته، من خلال سيفه فهو منقوش عليه أمير "قادش". فقال الفرعون: إنهم يريدون إنهاء المعركة بدون قتال. "كامُس": حفظتك الآلهة سيدى الفرعون، ونادى في الجنود من اليوم حراسة تامة على خيمة الفرعون.

وقد اقترب "تحتمس" بجيوشه وعسكر قرب "مجدو" ونادى في قادته: إننا سنضرب معسكرنا هنا قرب الجبل، ونظر إلى "كامُس" قائلًا: في الصباح أجمع لي جميع القواد وللتحدث في أمر المعركة.
"كامُس": أمر فرعون مصر العظيم.

وتشرق شمس الصباح، والغيوم الحمراء مصاحبة لها، واجتمع القادة في خيمة الملك، وهم متلهفون على معرفة أوامر الفرعون. فدخل القادة مقدمين الاحترام والاجلال لفرعون مصر فقال لهم: لقد وصلنا إلى مشارف "مجدو" لا يفصلنا عن العدو إلا هذا الجبل، وللكن قبل أخذ الخطوة التالية لا بد أن ترسلوا بعض الجنود؛ لاستطلاع المنطقة وجمع المعلومات اللازمة عن "مجدو".

"كامُس": فرعون مصر العظيم، إن هذه الطرق جديدة، لم نتخذها من قبل في معاركنا، ولكن سنبذل قصارى جهدنا؛ لتلبية أمر الفرعون.

الفرعون: ل ابد من تغير خطط المعركة، ودراسة ساحة القتال؛ لمعرفة كيف تحقق النصر؟ ومعرفة تنظيم جيش العدو؛ حتى لا نتفاجئ في المعركة.

"كامُس": أمر الفرعون، وسيتم إرسال الجنود؛ لإحضار الأخبار عن "قادش".

الفرعون: إننا لدينا بالفعل بعض المعلومات عن "قادش"، ولكن هناك أشياء تنقصنا، وهو دراسة ساحة القتال وطبيعتها، وما يحيط بها، وكيف نستغل ذلك لمصلحتنا؟؟

"كامُس": أمر الفرعون، وانطلق الجميع خارجين، ويختار بعض الجنود الأقوياء، وأمره بتنفيذ أمر الفرعون، وأن يسجلوا كل شيء عن الجيش، وتجهيزه، ونريد وصف دقيق "لمجدو" وتحصيناتها، وساحة المعركة، ونريد لك في أقصى سرعة. والآن انطلقوا متسترين تحت ظلام الليل؛ حتى صاروا خلف معسكر العدو، وأخذوا يراقبون عن كسب. فعرفوا كل المعلومات المطلوبة، وعن ساحة القتال. وقال أحدهما: علينا الانطلاق؛ لإبلاغ الفرعون، والقائد بتلك الأخبار، وأن الليلة شديدة الظلام، والجو قارس البرودة،

وهذا أفضل؛ لكي نتحرك دون أن يشعر بنا أحدٌ، فتحركوا ببطء ومخترقين الوادي الجبل الضيق؛ حتى عرفهم زملاؤهم، فأخبروا القائد "كامُس": إن الجنود عادوا، فانطلق إليهما مهنأهم على عودتهم سلامين، وأعطوه المعلومات، وانطلقوا لمقابلة الفرعون، فدخل "كامُس" محيي الفرعون قائلًا: لقد عاد الجنود بكل ما أمرت. فقد تم تنفيذه.

الفرعون: هذا جيد، أخبرني ماذا وجدوا؟

"كامُس": إن عدد جيوش "مجدو" يفوق أعداد جيشنا، وأنهم أكثر من جيش قد تجمعوا تحت قيادة أمير "قادش" وأن أسلحتهم ليس بها جديد، فهي الأسلحة نفسها، والتنظيم نفسه الذي واجهناهم به في معاركنا المتفرقة.

الفرعون ناظر إلى "كامُس" قائلًا: وساحة القتال؟

"كامُس": هناك ثلاثة طرق نحو "مجدو". والالتقاء بجيوش "قادش" طريقان مباشران؛ من خلال الالتفاف من حول جبل الكرمل، والدخول في الوادي والالتقاء بالجيوش.

الفرعون: وما الطريق الثالث؟

"كامُس": إنه طريقٌ ضيقٌ يخترق الجبل، وصعب المرور منه، يجعلنا خلف الوادي وخلف الجيوش.

الفرعون: هذا جيد "كامُس"، والآن انطلقوا. وفي الصباح نقرر أي الطرق سنسلكها للولوج إلى "قادش". وكل منكم يفكر في كل الطرق، ويدرسها، ثم نقرر أيهم نختار؟

"كامُس": أمر فرعون مصر وحاميها.

ويجلس الفرعون مفكرًا في الطرق التي يسلكها للوصول "لقادش" والسيطرة عليها وبقول: لا بد من شيء جديد في المعركة، ولكن ما هو ذلك الشيء؟ وأثناء جلوسه في الخيمة، وإذا بأحد الجنود يفاجئ زميله، فيصيح فيه قائلًا: لقد فاجأتني.. فتقع الكلمة على أذان الفرعون قائلًا: المفاجأة.. هي المطلوبة. لا بد من مفاجأة العدو في الهجوم، ونلتف من خلفه- وكان هذا الأسلوب غير معروف عند الفراعنة حينذاك- وقال تلك هي الخطة.

وفي الجانب الآخر ما زال أمير "قادش" وقادته يسيطر عليهم الغرور بكثرة العدد، فقد تجمعت الجيوش في "مجدو"، ونادى أمير "قادش" في جنوده قائلًا: لا بد من دحر هذا الفرعون المغرور، ونزحف؛ حتى نبلغ مصر وندخلها ونحكمها وننعم بكل خيراتها ونيلها ونستمتع بثرواتها ونسائها. ويجتمع القادة قائلين: كيف سيكون التعامل مع الفرعون المصري "تحتمس الثالث"؟ وأي الطرق سيسلكها؟

أمير قادش: إن هذا الفرعون المغرور ليس أمامه إلا أحد الطريقين، وكلهم سيقوده إلى مخالب الأسد، فلا فرار منها، وسنقطعه أربًا، وسوف أحمل رأسه، وأعلقها على مدخل مصر.

القائد: ولكن لا بد من الحذر من الفرعون المصري، إنه ماكرٌ جدًا.
الأمير يقهقه: إن تجهيزات جيشه لا يمكنها المرور إلا من خلال أحد هذين الطريقين، وعليك وضع جنودنا على الطريقين؛ حتى إذا فكر أن يهجم علينا من أحد الطرق، وجدنا أمامه ودحرناه دحرًا، ويكون النصر حليفًا لنا.
القائد: نعم الرأي. سيدي الأمير، وينطلق قائد جيش "قادش"؛ لتنفيذ الأوامر.
وقبل المعركة بيومين اجتمع الفرعون بقادته؛ ليخبروه أي الطرق فكروا بها؟ ويخبرهم بالخطة النهائية، وطرق الهجوم.
فيحضر "كامُس" والقادة لمقر الفرعون ولقائه. فاجتمع القادة والفرعون فينظر الفرعون قائلًا: هل فكرتم أي الطرق سنختار؟
"كامُس": سيدي الفرعون جميعًا فكرنا، بأن أفضل الطرق هو الطريق المباشر، وأن الطريق الثالث هذا أمر خطر؛ لأنه سيقودنا إلى حتفنا إذا علم بنا العدو، فسوف يحاصرنا محاصرة شديدة، ويقضي علينا في برهة من الزمن، كما أن عتادنا صعب أن تمر من هذا الطريق.
جميع القادة فكروا أن الطريق الضيق مستحيل المرور منه؛ لأن العدو قد يكون متربصًا بنا، ويتم مهاجمتنا. فلا نستطيع الدفاع، كما أن العجلات الحربية صعب أن تمر من خلال هذا الممر، فالأفضل

هو الانطلاق في أحد الطريقين من حول الجبل. فجلس الملك مفكرًا، وقال: إذا كان هذا هو تفكيركم، فسوف يكون تفكير العدو، وإنه بلا شك ينتظرنا في الطريقين المباشرين إليه، وينصب لنا الكمائن، ولا يتخيل أبدًا. إننا نعبر الطريق الضيق، فهذا ما تقولونه.

القادة: صحيح.. فرعون مصر.

الفرعون: إذن إليكم طريقة الخطة، والقتال، فاستمعوا إليّ جيدًا..

القادة: أوامر فرعون مصر العظيم.

الفرعون: إن أسلوب الحرب أسلوب جديد، لم يتبعه أحدٌ من أسلافنا العظماء. إنها حرب المفاجأة، والالتفاف خلف العدو.

"كامُس": المفاجأة والالتفاف!. وكيف يكون ذلك سيدي الفرعون؟

الفرعون: لا بد أن نفاجئ العدو، ونجعله لا يتوقع هجومنا أبدا فذلك سيؤدي إلى تدهور كل خططه وتجهيزاته. ولا بد أن نختار طرقًا لا يتوقعها، وأن نهجم عليه من الخلف لا من الأمام.

القادة: إنها خطة محكمة فرعون مصر.

الفرعون: وبذلك؛ لتنفيذ تلك الخطة، فأننا سوف نقطع الطريق الثالث.

القادة: في استغراب وتعجب الطريق الثالث، ولكن عجلاتنا الحربية كيف ستمر؟

الفرعون: عليكم في هذا الوقت القصير أخبار الجنود: بأنهم يفككوا العجلات الحربية وسوف نحملها على أكتافناأ وتحت وطأة الليل سنعبر دون حدوث أي توتر يجعل العدو يشعر بنا.

القادة: أمر الفرعون العظيم.

وبدأ تنفيذ الخطة، وبدأ الجنود بحمل العجلات الحربية، والأسلحة، وامتطوا الخيول وانطلقوا طوال فترات الليل، دون حدوث أي قلق، ولكن فجأة سقطت أحد العجلات من جندي فدوى صوت فأشار "كامُس" للجميع بالتوقف تمامًا دون تحرك، فسمع أحد الجنود هذا الدوي فذهب إلى قائد "قادش" مخبره: إنه سمع دوي صوت غريب قد حدث، فقال له القائد: إنه دوي الرياح بين الجبل لا تقلق.

وبعد سكون الجنود، وقد بلغت القلوب الحناجر أمر القائد جنوده بالتحرك ببطء وحمل العجلة الحربية؛ حتى عبر جميع الجنود الممر الضيق في مغامرة من تحتمس الثالث محفوفة بالمخاطر، فإذا شعر العدو بهم تم القضاء عليهم داخل الممر بكل سهولة ويسر؛ حتى عبروا الممر جميعًا. وأصبح تحتمس وجنوده خلف الوادي، وأمر القادة بالتجهيز، وإعادة تركيب العجلات الحربية بكل هدوء فأمر "كامُس" جنوده وقادته. وبدأ الجنود في تركيب العجلات الحربية في سرعة، وأخبرهم بتنفيذ الخطة الجديدة التي اتفقوا عليها، وعليهم

تنظيم الجنود كما أمرهم، وهنا وبدأ تحتمس تطبيق فكرة جديدة، لم تطبق من قبل في تنظيم الجيوش، قام بتقسيم الجيش إلى قلب وجناح أيمن، وجناح أيسر ونظمهم في شكل نصف دائرة، وأخبرهم بأن التحرك يكون في شكل نصف دائرة، يتقدم الجناح الأيمن والأيسر ويتأخر القلب؛ حتى نطبق على العدو، ونلتف من حوله ونصيبه بالتوتر.

واجتمع بقواده مرة أخرى؛ ليعطيهم الأوامر النهائية. لأن المعركة أوشكت على البدء وبعد اجتماع الحرب الذي عقده الفرعون طوال اليل مع قواده، تم الوصول إلى مدينة "عرونة" قائلًا: سينطلق جلالتي نحو الشمال "آمون رع" سيفتح أمامي الدروب، بينما يثبت "رع حور" قلب جيشي المظفر، ويقوي والدي آمون ساعدي، وصدرت الأوامر إلى الجيش كله بأن استعدوا، واشحذوا سلاحكم سوف نتقدم للعدو عند الفجر، وتم تقديم الحصص الغذائية إلى التابعين، وحراس الليل. وأشرق فجر يوم المعركة، وجنود تحتمس الثالث خلف الوادي منتظرين إشارة التحرك، وجيوش "قادش" في الطريق المباشر إلى الوادي ينتظرون قدوم الجيوش من الأمام، وأمر الملك الجيوش بالتحرك، فتجهزت جيوش "قادش" على أن الجيوش المصرية قادمة من الأمام؛ حتي وجدوهم قادمين من الخلف، فأصابهم ارتباك، وضاقت عليه الدائرة، واشتد القتال

عليهم، وشد الملك قبضته عليهم، وولوا الأدبار مترنحين نحو "مجدو"، وهم يسقطون على أم رأسهم ووجوههم. وقد علاهم الفزع والخوف وسقطت منهم ملابسهم، ورفعهم القوم داخل أسوار "مجدو" متحصنين بها، ولولا انشغال جنود الفرعون بالغنائم لاستولى على "مجدو" في الحال، واغتنم الملك المصري غنائم كثيرة من مركبات ذهبية، وقد قتلوا من كانوا يغطون الأرض كالأسماك، وقرر محاصرة "مجدو" قائلًا: استولوا جنودي المظفرين على المدينة، انظروا قد تجمعت جميع البلدان الأجنبية داخل هذه المدينة حسبما أمر "رع آمون" في هذا اليوم، وإن جميع الأعداء محاصرون داخل أسوار المدينة، ثم أمر قواده: أن يصدروا الأوامر إلى جنودهم، أن يتعرف كل فرد إلى موقعه، وأقيمت لجلالته خيمة وأحيط بحراسة مشددة، واشتدت عليها الحصار والقوم بالداخل يضيق بهم الخناق والحصار يشتد ويشتد والقلوب من الفزع تأن، والعيون تترنح والخوف يعلوها منتظرين الهجوم في أي لحظة، وأمير "قادش" ومساعده وبعض من نجا من جنوده داخل أسوار المدينة محاصرون، فقام أمير "قادش" وهمس في أذن مساعده فانطلق الاثنين، وتحركا بعيدًا عن القوم قائلًا: إن الفرعون المصري لا نية له في الانسحاب، وإنه مصر على دخول أسوار "مجدو"، والقوم لا يستطيعون تحمل الحصار أكثر من ذلك ما هي الا أيام قلائل، وتجد

الفرعون المصري داخل أسوار "مجدو"، وأن المدينة ستسقط، وإذا سقطت، وتم القبض علينا، ووقعنا في أيدى الفرعون الشاب، ستعلق رؤوسنا على أبواب المدينة، فلا بد من حل.

المساعد: وما الحل الذي يفكر فيه مولاي؟

الأمير: لا بد من طريقة للخروج من أسوار تلك المدينة الملعونة.

المساعد: حتى لو وجدنا طريقة للخروج، أين سنذهب؟

الأمير: سأذهب إلى صديقي أمير "تونيب" فسوف يستقبلنا، لا محالة في ذلك، ولكن كيف الخروج؟

المساعد: هناك فكرة سيدي الأمير.

الأمير: ما الفكرة؟ دائمًا أعرفك بأنك أذكى مساعدي.

المساعد: ولكن تحتاج إلى بعض التنازلات من سيدي الأمير.

الأمير: كل التنازلات موافق عليها المهم أخرج من أسوار المدينة.

المساعد: سيدي الأمير، لا بد أن نزيل عنا تلك الملابس، ونرتدى ملابس عامة القوم، ونغير من أشكالنا ببعض الأشياء الموجودة بالمدينة؛ حتى لا يتعرف علينا أحدٌ، وإني قد تفقدت المدينة جيدًا، فيوجد سرداب صغير أسفل القلعة، ولكنه مغلق، ولم يعرف أحدٌ عنه شئًا؛ لأنني سألت بعض القوم، يوجد طريق ما للخروج، فلا أحد يعرفه، ربما كان طريقًا قديمًا، وتم قفله، ولكن عندما تفقده وجدته، ولكن لا أعرف إلى أين سيقودنا؟

الأمير: إذن ابدأ في تنفيذ الخطة.

المساعد: الليلة السماء غير مقمرة والظلام حالك جدًا، فتحت ستار الليل نتحرك ببطء، وسأجهز الملابس اللازمة لنا، ونسلك ذلك الطريق.

الأمير: يضرب بكفه على كتف مساعده مبديًا سعادة غامرة به قائلًا: إنني سعيدٌ جدًا بوجودك معي، فأنت مساعدي المخلص.

المساعد: والجنود الباقون ماذا سنفعل معهم؟

الأمير: المدينة ستستسلم قريبًا، وتفتح أبوابها أمام فرعون مصر، ويدخلها. إنه يبحث عني، والجنود يستسلمون له هذا كل شيء.

ودخل الليل مسرعًا، والهدوء يخيم المكان، والظلام حالك، والرياح عاصفة، والقمر غائب من السماء. لا يوجد إلا شعلات الإنارة التي تلاعبها الرياح يمينًا ويسارًا، وفي حالة السكون تحرك الأمير ومساعده حتى سلكا السلم المؤدي إلى أسفل القلعة، واقترب من المكان التي به السرداب فسأل الأمير: أين الطريق؟

المساعد: خلف ذلك الجدار، فضغطوا على حجر ضخم، فتحت لهم ذلك السرداب وأغلقاه خلفهم، ولكن الظلام حالك. فأشعل كل واحد منهم شعلة نار، يمسكها بيده، ويستل سيفه باليد الأخرى، وظلوا يسيرون في ذلك السرداب. فلم يجدوا شيئًا إلا عظام قتلى بالية وحشرات تسري يمينًا ويسارًا. وأخذا في المسير والطريق لا

ينتهي؛ حتى وصلا إلى نهاية الطريق، فوجدا حائطًا سدًا، فسأل الأمير مساعده: لقد هلكنا هنا؟

المساعد: سيدي الأمير، لا تقلق لا بد من مخرج هنا، اقترب بالشعلة هنا.

وسل المساعد سيفه أخذ ببطء يحدد جزءًا في الجدار عليه علامات، وقام بدفع ففتحت، وخرجوا. وكان نور الصباح اقترب من السطوع، ولا حاجة إلى الشعلات فطفئاها وأغلقا المكان، وسارا خلف الجبل، فسأل الأمير مساعده: أين نحن الآن؟

المساعد: سيدي الأمير، هذا الجبل بيننا وبين المدينة مسيرة ليلة.

الأمير: نريد إلقاء نظرة على المدينة؛ لنعرف ماذا يدبر الفرعون المصري؟

المساعد هلم نصعد من هنا، وأشار إلى تلة صغيرة بجانب الجبل فصعدا مختبئين ينظران إلى المدينة، فلاحظا تحرك من جنود الفرعون، وشاهدا أن المدينة تفتح أبوابها، وأن جنود الفرعون يدخلون داخلها، والجنود جاثين على أرجلهم مستسلمين.

قال الأمير لمساعده: ألم أخبرك أن المدينة ستسقط بعد الحصار الطويل الذي وصل إلى سبعة أشهر هذه "مجدو" سلمت وفتحت حصونها للجيوش المصرية، وحضر الزعماء على بطونهم عند جلالته، ويلتمسون العفو؛ لأن قوة "رع" قد أضافت سماتها على هيبة

جلالته، وجاء الزعماء حاملين الذهب والفضة واللازورد والماشية والثيران. وحينئذ نصب الفرعون الزعماء لكل مدينة، وناشد زعماء القبائل أن يرسلوا أبناءهم؛ لكي يتعلموا في مصر، وينشأوا نشأة مصرية، ويمارسون الحياة المصرية في طيبة، وبذلك فعل تحتمس ما لم يفعله سابقيه من الفراعنة في التعامل مع أعدائه وبذلك سن سنة؛ حيث يشب أبناء الأقاليم على الولاء والطاعة لمصر.

ولكن الفرعون ينظر في الوجوه باحثًا عن أمير "قادش" فلم يجده بين القوم، فيطلب من جنوده البحث عنه داخل المدينة، فينتشر الجنود كالجراد هنا وهناك، فلم يجدوه. كأنه حبة رمل زرفتها الرياح بعيدًا فنظر إلى "كامُس" سائلًا: أين ذهب؟

"كامُس": ربما يكون قتل بالمعركة، أو مات داخل أسوار المدينة في مكان ما، ولم يلاحظه أحدٌ.

الفرعون: وربما يكون فر وخرج من أسوارها.

وما زال الأمير ومساعده على حفة التل يشاهدان من بعيد، ما يدور هناك، ثم انطلقا مهرولين بين أودية الصحراء، ودروبها وكانا قد حملا معهما القليل من المؤن وانطلقا وبلعتهما الصحراء بين رمالها وأوديتها. يعبران من وادي إلى آخر والخوف يعلو على رؤوسهما، فيسيران وكأن أقدامهم لا تحملهما، وظلا على هذا الوضع ليالًا وأيامًا؛ حتى أشرفا على مشارف مدينة "تونيب". واقتربا من

أسوارها، فأوقفهما جنودهم وطلبا أمنهم، إنهما يريدان لقاء أمير المدينة. ففتحوا لهما، وادخلاهما، وأرسلوا إلى ملك المدينة يخبروه فدخل الحارس قائلًا: سيدى الأمير، هناك شخصان يبدو عليهما غبار السفر الطويل والانهاك المستمر، بهما خدوش في وجوههما، ويرتدان ملابس بالية، يريدان مقابلتك، وأحدهم يقول: إنه أمير "قادش".

ملك "تونيب" قائلًا بتعجب أمير قادش!! أين هو أحضره في الحال.

فدخلا عليه الاثنين، ويبدو عليهما ما ذكره الحارث، فرحب بهمت قائلًا: سمعنا ما حدث لك في "مجدو" من الفرعون المصري. فقد استطاع خداعكم، إنه داهية حرب، وأنك لم تستعد جيدًا له.

أمير "قادش": لقد فاجئنا بخطط وأشياء، لم نعهدها في حرب قبل ذلك.

أمير "تونيب": إنه رجل ذو عبقرية في إدارة حروبه.

أمير "تونيب": والآن انطلقا مع الحارث أبدلا تلك الملابس، وارتديا ملابس أخرى ونتناول الطعام، ثم نتحدث فيما تريده.

فأمر الملك حارثه: أن يصاحبهما، وأن يعد لهام مأدبة طعام، وبعد أن بدلا ملابسهما، وتناولا الطعام مع الملك. سأل الملك: كيف استطعتم الخروج من المدينة؟

أمير "قادش": بمساعدة مساعدي، وتلك الملابس التي اخفتنا عن القوم، فلم يتعرف علينا أحدٌ، وتحت ظلام الليل خرجنا من أسوار المدينة، وكان الجنود نائمين وقت الحراسة.

كذبا عليه؛ حيث أخبره مساعده: إنه لا يخبر أحدٌ، كيف خرجا من المدينة، عسى أن يرسلوا للفرعون المصري، ويخبروه بأمر السرداب، ويسلمونا إليه، ففطن أمير "قادش" بذلك.

أمير "تونيب": إنها طريقة بسيطة في الهروب، ولكنها أجدت معكما المهم ماذا ستفعلان بعد ذلك.

أمير "قادش": إنني أريد التحرك إلى مقر دولتي، وأن نعقد خطة سويًّا، بأن نتحد ونواجه الفرعون المصري معًا وبذلك أنتم تستولون على "مجدو"، وأنا أخذ بثأري منه.

ملك "تونيب": إنها صفقة عادلة، ولكن لا بد من تخطيط جيد لهذا الفرعون الصغير؛ حتى لا يحدث لنا ما حدث لك في "مجدو" ونخسر جنودنا وعتادنا.

أمير "قادش": والآن لا بد لنا أن ننطلق إلى "قادش"؛ لنجهز ما بقي لنا من جنود، ونحشد جنودنا لمواجه الفرعون. فأحضر إليهما حصانين، وامتطوهما، وانطلقا من أسوار "تونيب" نحو "قادش"؛ حتى وصلا إلى "قادش"، واستقبل أهلها ملكهم بالعودة إليهم سالمًا، وأحضر قواده، وأخبرهم: بأن "مجدو" ماهي إلا جولة في

معركة، وعلينا التجهيز التام والتدريب بكل الطرق الممكنة، وأننا سوف نحارب نحن وتونيب سويًّا في تلك المعركة. القادة: أمر الأمير مطاع، وبدأ أمير "قادش" في التجهيز؛ للحرب القادمة، وسوف نسترد "مجدو" مرة أخرى، وينظر إلى حارسه الذي هرب معه، فيعلم لماذا كذب على أمير "تونيب" وأخفى أمر السرداب؟ بأنه يريد استخدامه في دخول المدينة مرة أخرى.

❊ ❊ ❊

٥

مازال الفرعون يشغل عقله، ويسطر عليه اختفاء أمير "قادش"، وكيف استطاع الفرار من داخل أسوار المدينة في هذا الحصار الشديد، ولكن مازالت الإجابات حائرة داخل عقل الفرعون، وأرسل إلى "كامُس" فحضر إليه مسرعًا وأبدى التحية إليه، ونظر الفرعون إلى "كامُس" قائلًا له فى حدة بصوت غاضب: لا بد من معرفة الطريقة التي هرب بها أمير "قادش" من أسوار المدينة، ولا بد من محاسبة المقصر والمهمل.

"كامُس": سيدي الفرعون العظيم في القريب سنعرف كيف تمكن من الهرب؟ واستأذن من الفرعون للخروج، فأشار إليه. "فخرج كامُس" وانطلق لجنوده، وأخبرهم: إن عدونا أمير "قادش" قد تمكن من الفرار والهروب، وجلالة الفرعون استحوذ عليه الغضب لا بد من معرفة كيف هرب؟

فبدأ يرسل عيونه، ويتفقد القوم، ويسألهم عن أمير "قادش"، وأن يرتدوا ملابس غير تلك الملابس العسكرية؛ حتى لا يتعرف القوم عليه،م ويجلبوا لنا الأخبار ولكن لا جدوى لا أحد يعرف كل الإجابات لا أحد يعرف، ولا أحد استطاع الخروج من المدينة أبدًا.

وأخبر "كامُس" الفرعون: إن كل الحيل والخدع قد فشلت في العثور على أمير "قادش" فجلس الفرعون، ثم قال: ارسل عيوننا تبحث خارج أسوار المدينة، ويسألون بحذر.

"كامُس": أمر الفرعون العظيم.

أرسل "كامُس" عيون الملك، وأخذوا ينقبون دروب الصحراء، وأوديتها بين الجبال والتلال والكهوف، فلم يعثروا على شيء ؛حتى اقتربوا من مدينة "الازا" قال أحدهم: لقد أشرفنا على "الازا"، وأنها خاضعة لأمير "تونيب" ولا نستطيع الاقتراب؛ لأن الحراس والجنود في كل مكان، ولم ينتهِ الحديث؛ حتى رأوا بعض السيارة قادمين، فانطلقوا إليهم قائلين: ألم تشاهدوا شخصًا يبدو عليه أثر الحرب، أو السفر في طريقكم.

فقالوا: نعم لقد مرن بينا اثنان يرتدان ملابس بالية، واستسقانا فسفيناهما، وأطعمناهما، وأخبرانا. إنهما يريدون الوصول إلى مملكة "تونيب"، فأرشدناهما طغليها وكان ذلك منذ ثلاث ليالي قمرية أي إنهم الآن داخل المدينة. فانطلقوا عائدين إلى "كامُس" وأخبروه بذلك، وانطلق "كامُس" وأخبر جلالة الفرعون: بأن عيوننا عرفت أن هناك شخصين بدت عليهم أثار الحروب اتجها إلى مدينة "تونيب".

الفرعون: إنني كنت أعلم أن أمير "قادش" إذا استطاع الفرار سوف يذهب إلى "تونيب"؛ لأنه بينهما رابطة قوية. والآن يدبرا أمرًا

خطيرًا معًا. وحق آمون أن أمير "قادش" الآن تجده في "قادش"؛ لأنه لم يمكث طويلًا بها، وسيقوم بحشد جنوده والاستعادة؛ لحربنا لأنه خسر معركة، ولم يخسر الحرب.

"كامُس": ماذا يأمر فرعون مصر العظيم؟

الفرعون: علينا معرفة كيف فر أمير "قادش" من الحصار بين أسوار المدينة؟

"كامُس": وكيف نفعل ذلك؟

الفرعون: فإذا استطاع الخروج من المدينة، إذن يستطيع الدخول إليها، ومحاربتنا مرة أخرى.

"كامُس": ماذا يأمر فرعون مصر العظيم؟

"الفرعون": هناك سرٌ في المدينة ربما يوجد طريق سرداب شيء ما ابحث في كل زاوية من زوايا المدينة.

"كامُس": ينطلق ويصحب معه بعض الجنود، ويأخذون في البحث؛ حتى لاحظ سلم يأخذهم أسفل القلعة، فأرسل إلى الملك، فأتي الملك إليه وأراه هذا، ونزل الاثنان والجنود معهما إلى الأسفل، فلاحظوا بعض الثياب، وبقايا شعلات بجوار الحائط، فقال الفرعون: خلف هذا الحائط سر، فاقترب وأخذ يتفقد الحائط، فوجد حجرًا يتحرك، فحركه ففتح باب فتقدم "كامُس" وأنار شعلة وتبعه الملك والجنود وساروا؛ حتى وصلوا نهاية السرداب فوجوده مغلقًا "كامُس" قائلًا: إنه مغلق مولاي الفرعون.

الفرعون: ابحث عن أي فتحة، كما فتح المدخل يفتح المخرج، فأخذ "كامُس" يبحث في الجدار؛ حتى لاحظ حجراً أيضًا، فضغط عليه ففتح السرداب، فوجدوا أنفسهم خارج المدينة. فقال الفرعون لكامُس: هكذا فر ملك "قادش" ولكن علينا بحماية هذا الطريق، فأقم على هذا المدخل حراسة مشددة من جنودنا.

"كامُس": أمر فرعون البلاد وحاميها.

الفرعون: ولا بد من السيطرة على "الازا" و"تونيب"؛ لأنهما سيشكلان خطراً قويًّا عليّ، وستكون تلك الرياح التي تعصف من وقت لآخر، ونثير التوتر والقلق. فلا بد من السيطرة عليها، ولابد من مفاجأتهما مفاجأة كبيرة تربك صفوفهما، وتشتت شملهما، وتقلل من عزيمتهما فتسقط "الازا"، وعندما يعلم أمير "تونيب" بذلك سيتحرك بجنوده؛ للدفاع عن "الازا" وسيترك بعض الجنود في "تونيب" تكون أنت على رأس جيش تتجه إلى "تونيب" فتقضي عليها بسهولة وتسقط المدينتين في التوقيت نفسه.

"كامُس": إنها خدعة حربية محكمة، جلالة الفرعون العظيم.

الفرعون: ابدأ في حشد الجنود، وتحرك مع إشراقة الصباح، ولكن حاول أن تسلك دروب لا ترصدكم فيها أعين العدو؛ حتى تكون الضربة الكبرى لهم.

وتحركت بحافل الجنود تطوي الصحراء طيًّا؛ حتى وصل الجيشان على مشارف المدينتين، وتم تنفيذ الخطة، فهجم الجيش على المدينة، واطلقوا السهام، فسقط الجنود والحراس وفتحت المدينة أبوابها بسهولة. فدخلتها العجلات الحربية وطارت الرؤوس من فوق الأعناق واستسلم كل من بقي حي داخل المدينة للفرعون المصري.

وعلم "تونيب" بذلك، فتحرك بجيشه نحو "الازا"؛ لإنقاذها، وترك بعض الجنود؛ حتى وصل إلى مدينة "الازا" فوجدها استسلمت، وهنا هجم "كامُس" على مدينة "تونيب"، فقضى على الحراسة الموجودة بها، وقضى على الجند المحاربين بعد اشتباكات خفيفة معهم وسقطت "تونيب" هي الأخرى في يد "كامُس"، ثم أرسل إلى الفرعون يخبره أن "تونيب" صارت تحت السيطرة. فأرسل إليه أن يترك أحد فرق جندنا، وأن يعو،د ويتمركز خلف جنود أمير "تونيب"، وتم تنفيذ الخطة الأخرى. وتحرك "كامُس" من "تونيب"، وكانت مسيرة يومًا تقريبًا؛ حتى وصل إلى مشارف "الازا" فشاهد أن أمير "تونيب" عسكر على مشارف المدينة فعلم الفرعون، بوصول "كامُس" فأمر جنوده بالتحرك. وتحرك أمير "تونيب"، والتقى الجيشان في معركة قوية، وفجأة هجم "كامُس" من الخلف؛ فصار جيش "تونيب" بين فكي الأسد، فسقط الجميع قتلى، وسقط أمير "تونيب" قتيلًا بعدة ضربات قوية في جسده وعنقه. وصارت

"الازا" و"تونيب" تحت حكم تحتمس الفرعون المصري، وأمر الجنود بالاحتفال بالانتصار العظيم قائلاً لهم: جنودي المظفرين بالانتصار، إن إرادة "آمون رع" قد تحققت وتم تحقيق الانتصار على أعدائنا، ولكن ما زالت المهمة مستمرة؛ حتي ننهي الحرب تمامًا ونعود مظفرين بالانتصار الأكبر، والقضاء على قادش تمامًا، وأميرها، ولا بد من إخضاع "قادش" لحكمنا.

وسقطت جميع الممالك أمام جيوش الفرعون تحتمس الثالث، وبلغ صيته الأفق وصار اسمه يخلع القلوب من الصدور، ولكن ما زال أمير "قادش" يخطط ويرمم ما أصاب جيوشه في "مجدو"، ودخل حارسه إليه مسرعًا: سيدي الأمير، هناك رسول بالخارج يريد لقاءك فورًا..

فيأذن له بالدخول، متكئًا قائلًا: إنه من صديقي أمير "تونيب" يرسل إلىّ؛ ليطمئن إني على استعداد لخوض الحرب معًا.

فيدخل الرسول إليه قائلًا: سيدي الأمير، لقد سقطت "الازا" و"تونيب" في يد الفرعون المصري، وقضى على جيوشنا، وقتل قوادنا، وسقطت الأمير قتيلًا في بحافل المعركة. لقد خدعنا الفرعون المصري، إذا هجم على المدينتين في التوقيت نفسه، فارتبكنا وسقطنا. وفقد أبلغني الأمير أن أخبرك بذلك قبيل موته بين يدي، فانطلقت إليك سيدي الأمير.

فيرتمي الأمير على كرسيه ضاربًا بقبضة يده على مقبط الكرسي قائلًا: آآاااه.. من هذا الفرعون المصري .

كيف السبيل من الخلاص منه أنه يسبقني في كل خطوه أخطوها أجده سبقني إليها.

القائد: سيدي الأمير، إن الفرعون المصري لا يستهان به، ولا بد أنه يخطط للقدوم إلينا هنا في مقر حكمك، ولا بد للاستعداد لذلك، ولكن قبل القدوم، لا بد من المرور بمدينة "ارداتا" فلا بد أن نذهب إلى "ارداتا"، وننضم إلى قواتها، وهناك نفاجئه دون أن يعلم بتحرك قوادنا إلى "ارداتا"؛ لأنه يعلم أن "ارداتا" قوتها ضعيفة، وأنها ستستسلم له قبل أن تبدأ المعركة، ولكن إذا دعمناهم بالجنود والسلاح ستقاتل تحت رايتنا، وهذا هو الحل.

الأمير: في سرية تامة ارسلوا جنودنا وأسلاحتنا إلى "ارداتا"، وارسلوا أمهر قادتي إليها؛ لتكون الجيوش تحت أمارتنا، وأن تخبرونا بكل شيء؛ حتى نكون على استعداد لأي أحداث غير متوقعة. وأن تنشروا قوات بين القبائل بين "ارداتا" و"قادش"؛ حتى لا يكون الوصول "لقادش" سهل المنال للفرعون المصري.

القائد: أمر الأمير، وبدأ في تجهيز الجند- وإرسالهم في ظلام الليل إلى "ارداتا" دون علم أحد، وأعلم كل فرقة من الفرق، ماذا ستفعل؟ وأخبر القادة: إنهم يكونون على استعداد تام؛ لأي مواجهة.

ولكن كان تحتمس أذكى من ذلك بكثير، فعقد مجلس حرب مع قواته. وكان قد درس المكان إلى "قادش"، وعرف كل مناطق القبائل. وأخبر قوادة: إنه يريد التحرك إلى "قادش للسيطرة" عليها.

فأخبره قواده: إنه قبل التحرك إلى "قادش" لا بد من السيطرة على "ارداتا" أولًا؛ لأنها مواليه "لقادش"، وعسى أن ينصب لنا أمير "قادش" شركًا فيها، فيصيبنا ضررًا من ذلك.

الفرعون: ناظر إلى قادته، وكان قد صمم له عيونه، رسم يوضح الطريق من مكان معسكره إلى "قادش" فلاحظ أن "ارداتا" ستكون خنجراً إذا تركها دون السيطرة عليها. فقرر في مجلسه: إنه لا بد من السيطرة على "ارداتا"، ولكن أعلموا أن أمير "قادش" قد يكون حشد بها جنودًا، وسلاحًا. فلا استهانة بذلك. وكونوا على حذر. وسنتحرك جميعًا قبل شروق الصباح؛ حتى تحمينا قوة "آمون رع"، وننطلق إلى "ارداتا". فإنها لا تبعد كثيرًا. فأمر "كامُس" بتجهيز الجيوش.

* * *

٦

"ارداتا" مدينة الحدائق والحقول، والأشجار المثمرة جنان على الأرض زاخرة بكثير من الخيرات. تحركت الجيوش قاطعة المسافات الطويلة متجهة إلى "ارداتا". فنادى "كامُس" في جنود جيشه: جنودنا المظفرين، أشدوا عزمكم "فآمون رع" يرعاكم، والنصر حليفكم. وانطلقت الجنود مسرعين يطوون الصحراء طيًّا، وكانت جنود "قادش" قد رصدت تحرك تحتمس الثالث نحو "ارداتا"، فأمر القادة جنودهم بالتخفي؛ حتي يفاجئوا الفرعون المصري وجيشه. وظهر على "ارداتا" الهدوء والسكون التام؛ حيث لا حراك فيها، وكأنها أرض أموات. فلم يطمئن تحتمس إلى هذا الوضع، وأمر قواده بأخذ الحزر الشديد مخبرًا "كامُس": أن الوضع في "ارداتا" غير مطمئن، فهذا الهدوء لا ينذر بخير، بل هذا الهدوء الذي تتبعه العاصفة. فكونوا حذرين ومستعدين، واجعلهم منظمين في التحرك؛ حتى لا يصيبنا من العدو ما يخلخل أقدامنا.
"كامُس": أمر فرعون مصر العظيم.

وانطلق "كامُ"س بين الجنود ينظمهم بالطريقة التي تدربوا عليها، وتم تنفيذها في "قادش" فقسم الجيش إلى قلب وجناحين.

وأشار الفرعون بإيقاف تحرك الجيش؛ حتى يظهر الوضع في "ارداتا"، وأخبر قوادته لا بد من دراسة المكان حول "ارداتا"، ومعرفة نقاط ضعفها ونقاط قوتها. وأنسب الأوقات للهجوم، وهم على مرمي من جنود "قادش". وأخذ الفرعون يدرس المكان جيدًا، وطريقة القتال الذي تصح في هذا المكان، فكان تحتمس عبقريًّا، لا يقدم على حرب إلا إذا درس المكان الذي سيحاربه، ومعرفة نقاط ضعفه وقوته. ولم يمكث الوضع طويلًا، ولكن جنود "قادش" أصابهم قلق لماذا لم يهجم الفرعون على المدينة؟ ماذا ينتظر؟ فأصابهم القلق والتوتر. وهذا ما أرداه تحتمس أن يفقد الأعداء صبرهم، ثم أمر "كامُس" قائلًا: ارسل "ست رع" بفرقة من الجيش تتحرك؛ حتي إذا وصولوا مشارف أبواب المدينة، رجعوا مسرعين واجعلهم وهم ذاهبون إليها يتحركون ببطء أولًا، ثم يسرعون بعد ذلك.

"كامُس": أمر الفرعون، ولكن هذا ربما يعرضنا للخطر.

الفرعون: لا تقلق، أن العدو سيبتلع تلك الخدعة، وسيفتح الأبواب، وسيخرج بقواته لقتالنا خارج المدينة، وتكون أنت بأحد أجنحة الجيش، و"حوتب" بالجناح الآخر في جانب والقلب سأقوده أنا فعندما ترى الأبواب فتحت، وبدأ الجند يخرجون، لا تتحرك أبدًا إلا عندما تجد جنودنا قد تراجعوا، وقد توغل العدو فهنا سنشن

الهجوم، وستسقط المدينة كاملة. وتم تنفيذ الخطة المتفق عليها كاملة، وابتلع العدو طعم الفرعون المصري، وخرجت جنوده العدو من أبواب المدينة، وما لبثت؛ حتي طبق عليهم تحتمس بجنوده من كل جانب، ولم يستطيع جنود "قادش" التراجع، ودخلت جنود تحتمس مدينة "ارداتا" وسقطت في يد تحتمس بعد معركة أتلفت فيها الكثير من المحاصيل أثناء الحرب. وقد استطاع الفرعون المصري استكشاف بلاد "جاهي" وأشجارها المثمرة، والنبيذ الذي يفيض من عصارة الأشجار في "جاهي" والثمار المختلفة. وأصبحت تحت حكم الفرعون المصري، وفر جنود "قادش" الناجين من رحى المعركة. وعلم أمير "قادش" بذلك فأصابته نكبة وحزن وظهر على ملامحه الغضب الشديد قائلًا: ماذا أفعل بهذا الفرعون المصري الصغير؟

ونادى على قواده احشدوا الجنود حول المدينة كحلقة لا انفصام فيها، ولا يترك أحد موقعه، ولا يمر أحد غريب داخل "قادش" كأنه حصار؛ لأن الفرعون المصري سيأتي لا محالة إلى "قادش" وانشر جنودنا في الطرق والممرات كلها المؤدية إلى المدينة؛ حتي تكون حربًا ضروسًا عليه، وعلى جيوشه، وبدأ القواد في نشر الجنود في كل ممر يؤدي إلى مدينة "قادش".

ولكن تحتمس كان أكثر ذكاءً. فمكث في "ارداتا" ولم يتحرك بجيوشه فتره، حتى يشعر أمير "قادش" بالاطمئنان بأن تحتمس لا ينوى مهاجمة "قادش"، وأنه علم بقوة "قادش"، ولذلك لم يهاجمها. فأمر أمير "قادش" بفك الحصار عن مدينته، ولكن جعل الجنود منتشرين كما هم فعلم تحتمس بذلك، فعقد مجلس حربًا مع قواده دون علم أحد.

❊ ❊ ❊

٧

بدأ تحتمس يخطط في الوصول إلى "قادش"، وأفضل الطرق، فعقد مجلس حرب مع قادة جيشه، وتدارسوا الطرق كلها. فأخبروه بأن الطرق والممرات كلها قد حشد العدو جيوش بداخلها، ولكنها ليس بالكثيرة. قد نقضي عليها بسهولة.

الفرعون: ولكن ستنهك قوادتنا، وستسقط منا خسائر نحن في غنى عنها، أنى أريد الوصول إلى "قادش" بالجنود كافة دون خسائر.
نظر القادة بعضهم إلى بعض، وعيونهم حائرة قال: هذا فيه صعوبة.
الفرعون: ولكن سقط من أذهانكم طريقًا هامًا، لم تذكروه أبدًا.
"كامُس": كل الطرق مدروسة جلالة الفرعون.
الفرعون: طريق البحر.
القادة :البحر!!!
الفرعون: إنه الأسطول الذي تم تجهيزه، ولم نستغله أتي عليه الوقت؛ لاستغلاله. إننا سنفاجئ أمير "قادش"، ونهجم عليه من جانب البحر، والمدينة من جانب البحر ضعيفة، وسندخلها، وبكل سهولة ويسر.
القادة: عسى أن يكون العدو قد فعل تجهيزات.

الفرعون: لم يفعل ذلك لقد ابتكرنا هذا الأسطول، وحرب البحر، ولم يصل إليه أحدٌ قبلنا، فسوف نستخدم قوة البحر، وحرب البحر. احشدوا الجنود إلى السفن في هذه الليلة المقمرة، واتركوا جندًا هنا؛ لحماية المدينة وإدارة شئونها.

وانطلق الجميع إلى السفن، وتحركت السفن قاطعة مياه البحر إلى "قادش" وأمير "قادش" ينتظر القدوم من الممرات الجبلية، ودروب الصحراء، وسارت السفن مسرعة في حشد غير مسبوق في التاريخ؛ حتي وصلت السفن إلى "قادش"، فانطلق الجنود منها والعجلات الحربية داخل أسوار المدينة من ناحية البحر، ودارت رحى المعركة، واشتد القتال وسقطت القتلى، وتطايرت الرؤوس، ولا صوت إلا أصوات وقع الرماح، وضربات السيوف ولا ترى أحد إلا عليه تراب الحرب، وأشد الفرعون قبضته عليهم، وأضاق الخناق بهم، وبدأ جنود "قادش" يتقهقرون إلى الخلف. والفرعون لا يتركهم؛ حتى وصل إلى مقر حكم "قادش"، وداهمت جيوش تحتمس المكان، وسقطت الجثث تحت العجلات الحربية، واطلقت السهام التي سقطت كأمطار السماء على جنود "قادش" فقتلوا واشتد القتال. فخرج أمير "قادش" بجنوده الباقين إلى المعركة، وانطلق إليه تحتمس، ودارت المعركة من جديد وقتال مدوي بين الجميع، وتحتمس في عجلته الحربية في خضم المعركة يقاتل أمير

"قادش" في مواجهة فريدة؛ حتى زفر تحتمس به، وأطاح برأسه، وسقطت "قادش"، واستسلم الجنود الباقين. واستقر الحكم في "قادش" وخضعت "قادش" إليه ومكث بها مسيطراً على الوضع مثبتاً أركان حكمه، وعادت المدينة إلى الحياة مرة أخرى تحت الحكم المصري.

وبعد مرور فترات من الحكم وصل إلى الفرعون في "قادش" أن "ارداتا" قد تمردت على الحكم المصري هناك؛ حيث تم التحريض من قبل بعض قادة "قادش" الفارين والذين كانوا مرابطين بأحد أودية الصحراء.

فأمر تحتمس الجنود بالعودة صوب الشاطئ مرة أخرى، فاجتاحوا "ارداتا" مرة أخرى. ودارت معركة بين تحتمس وقادة المرتدين، وتم القبض على قائدهم، وتم تسليمه إلى الفرعون المصري، وأمر تحتمس بقتله، فضربه بنفسه. فعاد الوضع إلى الحكم المصري مرة أخرى في "ارداتا".

جمع تحتمس القادة مخبرهم أن المدن التي وطأة تحت حكم جلالتنا قد ثئور على الحكم فلا بد من ضمان لذلك.

القادة: ماذا يرى جلاله الفرعون العظيم؟

الفرعون: احضروا إلينا أبناء زعماء المدن المفتوحة التي بلغت ست وثلاثين مدينة.

القادة: عذرًا فرعون مصر، ماذا يريد منهم؟!

الفرعون: سنأخذهم معنا إلى مصر، فهناك يتعلمون ويشبون على الولاء والطاعة لنا. وأباؤهم هنا، وعشائرهم لا يستطيعون التمرد علينا؛ لأن أبناءهم لدين،ا ثم يعودوا هؤلاء لحكم تلك المدن، فلا ثورة ولا تمرد منهم.

القادة: نعم الرأي، رأي الفرعون المصري، وتم إحضارهم، وقرر الفرعون العودة إلى مصر بجيوشه مظفرين بالانتصار بعد تأسيس إمبراطورية مصرية مستقرة؛ حيث خضعت الأقاليم والقبائل جميعها إلى حكم تحتمس، وأمر قواده بالاستعداد إلى العودة لمصر.

❊ ❊ ❊

٨

وقرر الفرعون العودة إلى مصر بعد انتصاراته التي علت الأفق، وصارت تضيء كالنجوم وسطر إمبراطوريته بعزيمته وعزيمة قواده. فتلك هي عزيمة المصريين التي لا تهزم أبدًا. وحشد الجيوش، واستعدت بالتحرك منتظرين إشارة الملك، فخرج الملك وقواده وامتطى عربته الحربية، وانطلقت الجيوش مصحبة معها الكثير من غنائم البلاد المفتوحة التي سيطر عليها الجيش المصري، ومعهم أبناء القبائل والأقاليم الأسيوية؛ لتعليمهم في مصر، والنشأة على الولاء والطاعة، وتحركت الجيوش. فالرمال أعلنت تحرك جيوش الملك المظفر تحتمس الثالث، وحضر الجميع؛ ليودعوا الفرعون والقائد تحتمس الثالث، وانطلقت الجيوش تطوي الصحراء مسرعة؛ للعودة إلى مصر. والفرعون يريد الإسراع للوصول إلى مصر قائلًا: إني أريد الوصول بأسرع الأوقات إلى المحبوبة الأولى أرض النيل الخالد؛ لنقبل جبينها ونهنئها بالنصر الكبير التي أضفناه إليها؛ لأنها أمنا التي تحتوينا جميعًا. إنها مصر.

وينظر إلى جانبه فيرى "كامُس" فيخبره: كم تبقى على المسافة إلى مصر؟

"كامُس": تبقى أقل من ثلاث ليالٍ، فرعون مصر.

الفرعون: إننا أشرفنا على الوصول، فأمر الجنود بالتحرك سريعًا، وأمر "كامُس" الجنود بالإسراع، فسار الجميع متلهفين إلى بلادهم، وأسرهم وعشائرهم. وكان قد أرسل تحتمس أحد رسله قبل تحركه؛ ليخبر من في مصر بقدوم الفرعون، وقد وصل الرسول قبل الفرعون بيومين، ونادى في طيبة: إن الفرعون العظيم تحتمس الثالث قد أشرف على دخول المدينة. فأمامه أقل من يوم؛ ليكون بيننا، وقد ظفر بالانتصار العظيم، وقهر أعداءه قهرًا لم يسبقه أحدٌ قبله من الأسلاف العظماء. وقد بسط نفوذه؛ حتى بلاد النهرين، وأخضع الأقاليم الأسيوية جميعها لحكمه فعلى الجميع الاستعداد؛ لاستقبال الملك.

فتزينت طيبة في أبهى زينتها كالعروس في ليلة زفافها، وحشد القوم منتظرين قدوم الفرعون، والعيون ثاقبة كلها، وكأن الناس فوق رؤوسهم الطير، لا تسمع لهم حسيسًا إلا صوت الرياح يهمس؛ حتى ثار غبار من بعيد، فصعد أحدهم أحد التلال، فشاهد جحافل جيوش قادمة، فقال: إنها جيوش ملكنا المظفر تحتمس الثالث، فدخل المدينة، وهلل الشعب فرحًا، وحضر الكهنة جميعهم متقربين للملك، ومهنئين بالانتصار، وأمر الملك أن تنحر الذبائح "لآمون رع"، وتقدم له القرابين، وأن تقام الاحتفالات بالنصر الكبير في طيبة، والمدن المصرية كلها.

وانطلق الفرعون إلى قصره الملكي، فوجد زوجته وابنه الصغير في استقباله، في نظرة من اللهفة والعشق والحب، حيته الزوجة الملكية عودة هنيئة لملكنا العظيم تحتمس الثالث، وهنيئا بالنصر المظفر، وقهر الأعداء، فحياها الفرعون -أيضًا- قائلا: كيف حال زوجتنا الجميلة ووريث عرشنا؟

الزوجة: إنني أنعم بالأمان والسعادة ما دمت أنت بيننا.

الفرعون: ناظر إلى زوجته، وأمسك بيدها، واجلسها بجواره، وهي ترتدي الثوب الفرعوني ثوب الأميرات مناديًا في الشعب التي احتشد خارج قصره، وأمر الحارس أن يدخل من بالخارج، فنادى فيهم: بأننا ظفرنا بالأعداء بقوة جنودنا، وحنكة قادتنا، وعزيمتنا ورعاية "آمون رع" لنا في كل حرب خضناها، فأسسنا إمبراطورية سيشهد عليها الزمان، وأمّنا حدود دولتنا من الأعداء كافة، وما عليكم إلا الحفاظ على تلك الدولة، فهي هبة من الألهة، ومن يقصر أو يستهين بما حققناه، لا ينتمي إلى أرضنا ولا ينعم في خيراتها وأن يفارقنا دون عودة.

وأشار إلى الشعب بالانطلاق والاحتفال بهذا النصر العظيم، فأعلن في طيبة من الجنوب لدلتا خبر انتصار الفرعون، فاحتفلت مصر كلها بهذا النصر، وإقامة الشعائر الدينية داخل معبد آمون، وقدم الشعب القرابين لآمون احتفالًا بالانتصار، ونَعِمَ الشعب بالفرحة.

ثم قرر الفرعون العظيم الذهاب إلى معبد آمون؛ لإقامة الشعائر الدينية، وتقديم القرابين لآمون الذي ساعده في الانتصار على أعدائه، وأخبر قواده، ووزيره "رخمي رع" بذلك، فتم الاستعداد، وهيئ الموكب، واصطحب زوجته، وابنه انطلاقا إلى معبد آمون، والشعب يهتف باسم الفرعون العظيم؛ حتى وصل إلى معبد آمون، وهناك حضر الكاهن الأعظم، وبقية الكهنة، وذهب الفرعون إلى آمون، وقدم الفرعون القرابين، وأقيمت الصلوات والشعائر الدينية؛ لشكر آمون بحماية الفرعون، وتتويجه بالنصر العظيم.

وانطلق عائدًا إلى قصره، ودخل مقر حكمه، وذهبت زوجته المليكة، وأم وريث عرشه إلى جناحها، وجلس مع وزيره "رخمي رع" قائلًا له: كن يقظا، فمنصب الوزير عماد الأرض كلها، فليس للوزير أن يستعبد الناس استمع إلى الشاكي من الجنوب والدلتا وأي بقعة من بقاع الأرض، وتصرف بالعدل فالمحاباة يمقتها الرب، وكن عادلًا مع من تعرفه ومن لا تعرفه.

"رخمي رع": حمى الرب الفرعون العظيم، وإنني سأسير كما قلت جلالتك: لأن الوزير لا بد أن يكون عادلًا، وأن يتمتع بالسيرة الحسنة والسمعة الطيبة، وحسن التصرف في الأمور، والذكاء؛ حتى لا يخطأ في أمر.

الفرعون مبدي سعادته "برخمي رع" قائلًا: نعم الوزير "رخمي رع"، إنك وزيرٌ على قدر المسئولية، وتيقن جيدًا وابحث عن الحقائق؛ حتى لا تظلم أحدًا ولا تتسرع في حكم.

"رخمي رع": حمتك الألهة جلالة الفرعون.

الفرعون: إن الرب لا يرضى بالتحيز أو الفساد.

"رخمي رع": جلالة الملك، لا تحيز ولا فساد، فذلك يغضب الرب، ولكن العدل هو العدل على الجميع.

الفرعون: وأعلم "رخمي رع" أن ريشة الكاتب عندي خير من جيش آمون ذاته، فلا تقلل من شأن كاتب يومًا ما.

"رخمي رع": كم يعرف الفرعون العظيم، ونعرف نحن أن الكاتب أرفع شأنًا في دولتنا، وأنهم يصلون إلى أعلى المناصب التي لا يصل إليها أحدٌ، فالكاتب حاملُ علم، فلا يقلل شأن كاتب أبدًا، جلاله الفرعون.

الفرعون: هذا ما نريده، ونريدك أن تعرفه لكل من يأتي بعدنا، أن يقوموا على أسس، ولا يهان أحدٌ في ملكي أبدًا.

فيقف الفرعون، ويستعد للمغادرة؛ لأنه يريد أن يستريح قليلًا من الوقت بعد عناء هذا اليوم الطويل.

وينطلق صاعدًا إلى جناحه الخاص، والجميع من العبيد والخدم ينحني له؛ لتقديم التحية والابتسامة لا تفارق وجوهم حبًّا في هذا الفرعون

العظيم؛ ليمضي الليل مسرعًا. وأصوات المياه في النيل، تعزف ألحانًا، وكأنها تحتفل بانتصار الملك، وأشرق ضوء الصباح؛ ليعلن يوم جديد على مصر.

وحضر "رخمي رع"، والقائد "كامُس"، وجلس الجميع في انتظار قدوم الملك، فأعلن الحارس قدوم الفرعون، فوقف الجميع مقدمين التحية لجلالة الفرعون، ثم أشار إليهم بالجلوس قائلًا لهم:

إن الحرب قد وقفت رحاها مؤقتًا، ولكن لا بد أن نكون مستعدين -دائمًا- فإن العدو لا يهدأ أبدًا، وعيونه ترصدك، وأنت لا تعرف. فكن على حذر-دائمًا-، وعلى أتم الاستعداد.

"كامُس": إن جنودنا على استعداد؛ لمواجهة أي عدو.

وبعد ما حققناه من انتصارات على الأعداء/ واتساع ملكنا، فلا بد من العمل الدؤوب؛ لننهض بها نهضة معمارية ضخمة كما نهضنا بها عسكريًّا، فشيدوا المعابد والمسلات في طيبة، وفي كل مكان؛ لتكون شاهدةً على ما وصلنا له، وأكملوا المعابد التي لم يستكمل بناؤها في عهد ملوكها.

"رخمي رع": ما يأمر به جلالة الفرعون ينفذ.

الفرعون: شيدوا معبدًا بجوار معبد غنمت آمون -حتشبسوت-، واستكملوا القاعة الكبرى بمعبد الكرنك؛ لتكون قاعة احتفالات كبرى، وأكملوا بناء معبد الإله "حابو"، وفي "منف" أقيموا معبد

للإله "بتاح"، واجعلوا فيها ثلاث حجرات، واحدة "لحتحور" ربة مدينتنا العظيمة طيبة، والأخرى "لبتاح"، والثالثة لزوجته "سخمت"، وأن تلك الأعمال ستكون شاهدةً علينا، وليتعرف الأجيال القادمة ما حققه الأجداد.

ومن هنا بدأت في مصر نهضة معمارية ضخمة لم يشهد مثيلها، وأمر الفرعون وزيره وقائده بإحضار أمهر العمال؛ لإقامة تلك الأعمال كلها، فبدأ "كامس" في حشد العمال من طيبة والدلتا والبلاد المفتوحة؛ لإقامة النهضة المعمارية، فحضر العديد من العمال من الأقاليم والمدن كافة. وبدأ العمل الدؤوب على مدار أيام وشهور وسنين. والملك يتابع ذلك كله، وينطلق مع وزيره وقائده على عجلته الحربية؛ لمتابعة أعمال البناء والتشييد، فيجد الجميع يعمل بجد واجتهاد؛ حتى تم الانتهاء التام من بناء المعابد والمسلات.

وقد دونت على جدرانها الأحداث الحربية التي خاضها الملك، والحروب دونها كاتبه بما في ذلك انتصاراته وتحركات جيوشه. فكانت نهضة معمارية في مصر القديمة، وأقيمت الاحتفالات الكبرى في طيبة بعد انتهاء البناء، وأمر الفرعون: أن يتم بناء مقبرة له بالبر الغربي – وادي الملوك- وأن تجهز، وكان تحتمس من أوائل الملوك التي شيدوا؛ لأنفسهم مقابر بالبر الغربي، وتم بنائها وتزينها.

وكان قد تقدم تحتمس الثالث في السن؛ حيث أشرف على العام الثاني والثمانين، وقد مر على حكمه أربعة وخمسين عامًا، فقال لكامُس: لا بد من الاستعداد لرحلة الخلود مع الأجداد، فحافظوا على مصر؛ لأنها هي الباقية، وكل من عليها سيمر، ولكن اتركوها قوية فتية، لا تتركوها ضعيفة هازلة. يطمع فيها أعداء الشمال وأعداء الجنوب، فلا تولوها لضعفاكم، بل لأقواكم. فالضعيف سيضعفها ويسلمها للأعداء، والقوي سيقوى بها وتقوي به، وتكون نجمة مضيئة بين نجوم السماء في ليلة حالكة الظلام.

"كامُس": حمت الآلهة فرعون مصر العظيم، وأطالت عمره.

وقارب الشتاء على الدخول، ورياحه العاصفة بدأت ترسل بشائر قدومه معلنة عنه، منذرة بأن هذا الشتاء شتاء مختلف تمامًا، وقد أصيب فرعون مصر العظيم بالمرض وأحضر الطبيب، وأخذ يداويه ،ولكن المرض يشتد على الفرعون، وقد أوشك مرور الشتاء، وفي الشهر الثالث فارق الفرعون الحياة ملتحقًا بالأجداد. وأعلن الخبر في طيبة: إن الفرعون العظيم تحتمس الثالث قد فارق الحياة، فتجمع الشعب من البقاع كلها، واحتشد المصريون أمام قصره، وطيبة خيم عليها الحزن، وكأنها بلدة غير البلدة، أحلت مكانها والدموع أنهار تسيل، والنحيب ظفراته تمزق الضلوع، والجميع في حزن وعويل.

ثم حمل جثمان الفرعون إلى مثواه الأخير في مقبرته التي شيدها، فكانت أكبر جنازة في التاريخ القديم، فلقد حزن عليه المصريون حزنًا شديدًا، وترك لهم دولة مترامية الأطراف. إمبراطورية عملاقة قوية وفتية؛ لتغرب شمس تحتمس الثالث، وتبقى أعماله خالدة وشاهدة على حنكته، وقيادته العسكرية.

تمت

مايو ٢٠٢٠

دار إضافة
للنشر والتوزيع

الإسكندرية
ج . م . ع

www.Idafabooks.com